نموذج لتفصيح الخطاب العامي

(أهميته، إمكانياته، معالمه)

إعداد

عبد الرحمن بن عوض الحربي

المشرف

الدكتور إبراهيم خليل

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

حزيران/٢٠٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب

قرار لجنة المناقشة

رسالة نموذج تفصيح الخطاب العامي

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ٥/ ٤ / ٢٠٠٦

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
د.ابرهيم محمود خليل (المشرف) رئيساً الرتبة/ اللسانيات		.....
أ.د محمود حسني مغالسة الرتبة/ النحو والصرف	عضواً	.....
أ.د إسماعيل أحمد عمايرة الرتبة/ فقه اللغة	عضواً	.....
أ.د حسن موسى الشاعر الرتبة/ (النحو والصرف)- الجامعة الهاشمية	عضواً	.....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر الجزيل إلى من منحني مشورته وقوم الزلل، إلى أستاذي المشرف إبـــراهيم خليل، لقد كان واحة أمن في محنة البحث.

والشكر الموصول لأعضاء لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور حـــسن الـــشاعر، والأســـتاذ الدكتور محمود مغالسة، والأستاذ الدكتور إسماعيل عمايرة؛ لتفضلهم بقراءة البحـــث وإغنائـــه بالأفكار والأنظار الثاقبة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
شكر وعرفان.....	ج
قائمة المحتويات	د
الملخص بالعربية	و
المقدمة	١
التمهيد	٥
الفصل الأول:نبذة عن مشهد اللغة العربية قديماً إلى العصر الحديث.	١٥
– مشهد اللغة العربية من الجاهلية إلى عصر الانحطاط	١٦
– الفصحى في العصر الإسلامي	٢٠
– الازدواجية العربية	٢٤
– أمثلة تمثل نشأة الازدواجية	٣١
– الجدل حول تقديم العامية على الفصحى	٤١
– فلهلم شبيتا في كتاب" قواعد العربية في مصر"	٤٤
– دعوة كارل فولرس	٤٥
– دعوة وليام ولكوكس	٤٥
– نقاشات وردود	٤٧
– صدى كتاب ولمور" العربية المحكية في مصر"	٥٠
– الدعوة العربية الإصلاحية وتجاوزاتها	٥١
– دعوة أحمد لطفي السيد	٥١
– دعوة مارون غصن في كتابه" دروس ومطالعة"	٥٣
– دعوة لويس عوض	٥٥
– دعوة سلامة موسى	٥٥
– سعيد عقل وديوانه المكتوب باللاتينية	٥٦
– الدعوة إلى الحروف اللاتينية	٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الرد على دعاوى تغيير الحروف العربية ٥٨
- الدعوة إلى العامية من وجهة نظر إصلاحية ٥٨
- مناقشة وردود على دعاة العامية ٦٠

الفصل الثاني:آليات ومحاولات نشر اللغة العربية. ٦٥

- في الإعداد والتقديم ٦٦
- الإعلام ٦٩
- التعليم ٧٥
- الإعلام والتعليم في خدمة الفكر ووحدته ٨٩
- المعجم العربي الموحد ٩١
- دراسة العامية في القرن الحادي عشر ٩٣

الفصل الثالث:تقويم مشروع تفصيح اللغة العاميَة ومعالمه. ١١١

- مشروع تفصيح العامية ومعالمه ١١٢
- ماذا أفاد المشروع من المشاريع السابقة ١١٣
- معالم المشروع وروافده وإمكانيته ١١٦
- التربية ١١٦
- الإعلام والثقافة ١١٧
- مشروع المقاربة ١١٩
- مشروع التحول ١١٩
- الأسس اللغوية لتقسيم المشروع ١٢٦
- الخاتمة ١٥٢

ملاحق ١٥٦

ثبت المصادر والمراجع..... ١٦٠

الملخص بالإنجليزية..... ١٧٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نموذج لتفصيح الخطاب العامي (أهميته، إمكانيته، معالمه)

إعداد

عبدالرحمن بن عوض الحربي

المشرف

الدكتور إبراهيم خليل

ملخص

يتطلع مشروع تفصيح العامية إلى الالتئام في إطار الوحدة اللغوية بعد أن عانت الأقطار العربية من عوامل التشتت والدعوة إلى العاميات، لأنّ اللغة هي وعاء الفكر، وغايتها التواصل، فلا بد من دراستها دراسة ثانية في ضَوْء الحقائق الجديدة لتتوافق والتواصل الفكري القديم، وربطه بالحاضر، فاللغة الواحدة العليا هي أقرب الطرق إلى التواصل الاجتماعي والحضاري لمناحي الحياة جميعاً، وتضييق الهوة بينها وبين العاميات مشروع يتطلب الكثير من البحث. لذا تطمح هذه الدراسة لوضع لبنة جديدة في المشروع المتصل منذ عقود عن طريق البحث فيما يجب أن يكون عليه الملفوظ العامي. وقد جاءت في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول.

أما التمهيد فيعيد النظر في المشروعات السابقة التي سعت لإيجاد الحلول والتدابير لقضية الفصحى والعامية، وفقاً لإطارها الزمني، مع بيان ما فيها مما سيبنى عليه الباحث وما قصّر دونه بالنقد.

ثم انتقلت الدراسة في الفصل الأول إلى رد ملابسات قضية الفصحى والعامية قديماً وحديثاً وتوسّعت قليلاً في قضية اللهجات العربية وملامحها، ثم تذرعت بأمثلة تظهر بذور العامية قديماً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى عصرنا الحاضر وأسبابها. وتناولت أهم دعاوى العامية وحججها وخَلصتْ إلى مطالعة ترد للفصحى اعتبارها وأصلها ودحض الدعوة إلى العامية وذرائعها.

وناقشت في الفصل الثاني، تحت عنوان الإعداد والتقديم، واقع المؤسسات الإعلامية والتعليمية وارتباطهما بوحدة الفكر، ثم عرضت لمشروعات تفصيح العامية بدلالتها في المعجم أو البيان والبلاغة المتناثرة في المشاريع المذكورة زمنياً، عدا بعض المشاريع الجادّة في تفصيح العامية التي كانت مرتبة تحت إطار الأهمية الانتقالية إلى الفصحى، ثم تعرضت لتحليل بعض المشروعات ثم توقفت في الفصل الثالث إزاء نموذج جديد في تفصيح العامية معتمدة على مشروعات سابقة، مع الإضافة إليها ثم أتبعت المشروع بدراسة ميدانية تطبيقية.

وقد حرصت على متابعة هذه القضية في مصادرها ومظانها الرئيسة، وما عرض له أستاذنا الدكتور نهاد الموسى في كتابه قضية التحول إلى الفصحى، وما قمت به من دراسات ميدانية واستبانات ومتابعات لبرامج التلفاز في ألفاظ الحياة في السعودية وفي تراكيبها، ثم خلصت إلى جملة من النتائج والتوصيات أودعتها الدراسة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة:

قضية نشر اللغة العربية قضية ذات إشكالات في الوقت الحاضر، مختلفة المأخذ والتناول، فمنذ القديم، كانت مبنية على تآلف أفضى إلى الوحدة اللغوية العربية واتخاذ لغة مشتركة بين الجماعة تحافظ على ما كان من مستويات لغوية: من مستوى فصيح إلى مستوى أفصح، وهذا ما طبعت عليه اللغة الأدبية (اللغة الفصحى) وانبرى الشعراء لإثبات أساليب الفصاحة العُليا.

وكان الإقرار بالوحدة اللغوية العربية الفصحى ومستوياتها نابعاً من أنَّ العربية تمتاز بوجود استعمالات وأساليب فصيحة وأخرى أقل منها فصاحة، من حيث الأداء.

وقد اختلف الوضع مع الدين الجديد (الإسلام) الذي جاء بالقرآن الكريم ليشمل مختلف اللهجات في إطار وحدة لغوية، تتجلى في القراءات القرآنية التي أباحت العناية باللهجات العربية، وجواز القراءة بها في القرآن الكريم، وما جاء به (الإسلام) من مفردات، ومعان، تتصل بالحياة الجديدة، فجعلت المجتمع العربي مجتمعاً لغوياً، تحت وطأة المُقاربات اللغوية.

واتّسعت رقعة الدولة الإسلامية لعالمية الدين الجديد، فدخل الأعاجم في الإسلام، وتعلموا العربية وأدَّوا بها الصلاة وتعبدوا بتلاوة القرآن ومزجوا عاداتهم النطقية وأساليبهم اللغوية التعبيرية والتركيبيّة التي يؤدّون بها الشعائر الدينية بنطق العربية وأساليبها المتعددة. وقد لفت هذا الأمر أنظار أصحاب (التنقية اللغوية) فأخذوا بجمع متون اللغة وتدوينها، وتقعيد النحو وضبطه (صرفاً وإعراباً) في مؤلفات مختلفة لحفظها من التأثيرات الأعجمية، بعيداً عن ملاحظ التطور والصيرورة، فوضعوا المعايير لهذه اللغة ومنها المعيار الديني (انطلاقاً من الدين الجديد الذي أنزل باللغة العربية) ثم انطلقوا إلى أهل البادية الذين لم يخالطهم العجم، ولم يتعرضوا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للتأثير الأعجمي، فأخذوا ما سمعوه ثم دوّنوه، وفي هذا يتمثل معيار آخر للفصحى، وهو المعيار المكاني، فلم يؤخذ عن بعض القبائل، وأخذ عن أخرى. وقد حدد اللغويون المعيار الآخر، وهو معيار الزمان المتمثل في الجاهلية وصدر الإسلام، فقعّدت القواعد، وألفت كتب اللغة المختلفة في ضوء المعايير السابقة الثلاثة: الدين، والمكان، والزمان.

وكان لظهور الأعاجم أيضاً أثرٌ في ظهور كتب التصحيح اللغوي مع أن هناك إشارات تشير إلى ظهور اللحن في الجاهلية وظهور التصحيح.

وانصبَّ اهتمام هذه الكتب على ما تلحن فيه العامة من اختلاف في موضع الحركة، أو باستعمال كلمة غيرها أحق منها، أو بزيادة بعض الحروف، أو حذفها، أو قلبها، أو إبدالها، مستشهدين في كل ذلك بالقرآن الكريم والحديث الشريف، وبالأشعار المختلفة، واجدين في هذه الأخطاء اللغوية تعدّياً على " قدسية الدين الجديد"، كما تناول بعض هذه الكتب اللهجات العربية مبيّنة عما بينها من اختلاف في الحركات، أو زيادة في بعض الحروف، أو في قلب أو اختلاف في المعاني نابع من تنوّع اللهجات. والتفتوا إلى التعريب أيضاً فوضعوا أسسه وقوانينه لمواكبة العصر الذي يعيش انفتاحاً واسعاً. وكل هذا لوضع معايير الفصاحة العربية المتمثلة في الوضع الجديد (للدين الجديد) وفق أطر وقواعد منضبطة. وقد ظل الأمر على هذا النحو إلى أن طغت على العرب بعض العناصر الأعجميَة كان منها الحكام والوزراء والولاة. فضعف شأن العربية ضعفاً شديداً.

ووردت نصوص اتضحت فيها معالم ضعف الحكام والوزراء والولاة باللغة العربية إذ لم يعد مجال الحديث باللغة العربية إلاّ في القرآن الكريم، والأثر النبوي الشريف، وغدا النطق بالعربية عيباً وأصبح الافتخار بغيرها مَعْلَماً.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه الدراسة لقضية (الفصحى والعامية)، هدفها رؤية المشهد اللغـــوي القـــديم وموازنتـــه بالحاضر والظروف التي أحيطت بها البيئات العربية للخلوص إلى وضع اللغة العربيـــة قـــديماً وأسباب المحافظة عليها، ثم الظروف التي أحاطت بها وما آلت إليه من انقسامات.

وجاءت هذه الدراسة لرد الاعتبار للصلة القائمة بين الحديث والقديم (اللغة العربية) ، وفهم القديم لاستكمال بناء الجديد على أسس أكثر ملاءمة للوضع الحالي، ومثلما عبَّر القدماء عن جهدهم في خدمة لغتهم العربية بالأساليب والطرق المختلفة التي كانت في ذلك الوقت أقل بكثير مما هي عليه الآن، كان لزاماً علينا أن نتابع الطريق للحفاظ على لغتنا العربية بالأساليب والطرق الجديدة المتوفرة والأكثر انتشاراً واتصالاً وتواصلاً انطلاقاً من فهم الماضي لبناء الحاضر، ورسم الخطى لمستقبل لغوي يمثل مقاربة للوحدة وترسيخاً للفكر العربي، والثقافة العربية الواحدة، بعد نزول (الكتاب الواحد وهو القرآن الكريم).

فمنذ ازدياد الصراع بين الفصحى والعامية مع بداية النهضة خلال القرن المنصرم ظهرت النقاشات والحوارات والآراء والردود بشأن اللغة بشكل لا يخلو من الحدة.

فانبرت الدراسات اللغوية لإيضاح مشكلات العربية ووضعها وموقفها من العامية، وعلاقتها بالفصحى، وتواترت الأبحاث والكتب وتعدّدت الإجراءات.

ورأيت في هذه الدراسة أن أعرض لمسارين: نظري وتطبيقي.

أما الجانب النظري، فهو تمهيد يعرض لأهم الدراسات التي تحدثت عن الفصحى والعامية مرتّبة زمانياً وما نتج من تلك الدراسات من مقاربات لغوية نحو الفصحى، وقد تعرضت في بعضها بالنقد والتصحيح والتبني، والأخذ، لغلبة الظن أن المشاريع الطامحة لابد أن تبدأ من حيث انتهى الآخرون.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي الفصل الأول بدأت الدراسة بمهاد نظري يرمي إلى الإلماع إلى الملابسات التاريخية لقضية الفصحى والعامية (قديماً وحديثاً) كما أردفتها بالحديث عن العامية ودعاتها وحججهم من أجانب وعرب وخلصت إلى رد الاعتبار إلى الفصحى.

وفي الفصل الثاني، كانت الدراسة عرضاً للواقع اللغوي في الإعلام والتعليم لأجل الخلوص إلى المشهد الحي للواقع اللغوي موضّحاً العروة الوثقى والوشيجة القوية بين الإعلام والتعليم وبين خدمة الفكر.

وتناولت المشروعات التي تدعو إلى الفصحى مرتبة زمنياً، وأفردت لبعض الدراسات، لأهميتها، عرضاً خاصاً، وقد أفدت في هذه الدراسة من كتاب الدكتور نهاد الموسى حولْ: قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث. إفادة جليلة فهو يستحق مني بسبب ذلك أجزل الشكر وأوفاه. حيث أفدت من دراسته في توسيع أكمام البحث الميداني الذي أودعه في دراسات اخرى تقدِم المزيد للمحافظة على العربيَة وتداولها على اللسان العربي.

وفي الفصل الثالث عرضت مشروع المقاربة اللغوية الذي انتهجت فيه اعتماد الفصحى المعاصرة واللغة الإعلامية متخذاً من المقاربات السابقة متكأ لدراستي مشفوعة بدراسات ميدانية لإعداد نموذج لتفصيح العامية من حيث دراستها وتحليلها وتقديم ما يمكن قبوله فيه من البدائل الفصيحة.

وهذه الدراسة لا تتخطى الرغبة في دعم الحلم العربي بنموذج فصيح يشمل البيئات العربية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد:

ما تزال قضية الفصحى والعامية في الوطن العربي قضية مطروحة لم تحسم بعد لما لهذه القضية الشائكة من تعقيد، فهي بحاجة إلى المعالجة الموضوعية.

وقد أثيرت هذه القضية في العصر الحديث من زوايا مختلفة وطروحات متعددة تبني كلّ منها على الأخرى للوصول إلى الخلاص، بل إلى التقارب اللغوي للفصحى ولا سيما بعد أن ظهر دعاة العامية، ولم تخلُ هاتيك الدراسات من التداخل اللغوي والحضاري والتعليمي والإعلامي واتصالها جميعاً بالفكر الواحد للقضية العربية الواحدة.

ونعرض في بداية هذا الدرس اللغوي لبعض الدراسات التي رأينا فيها الجدة في تفصيح العامي على الرغم من كثرة الدراسات التي التفتت إلى هذه القضية.

ومن هذه الدراسات:

أسبقية العربية الفصحى على العامية: أمين فكري[١]

قام أمين فكري (وهو من أوائل الذين دعوا إلى التوحيد اللغوي) في بحثه بالردّ على دعاة العاميّة آنذاك (١٨٩٨) فقد دعا إلى استعمال الفصيح من الألفاظ المستعملة في لفظ (العامّة) عوضاً عن آخر فصيح غير مستعمل، وأشار إلى أن العامية صحيحة أو محرفة بزيادة أو نقصان وإن صُحِّح العامي لا يستبهم على السامع فهمه، وكذلك في التراكيب اللغوية في إعادة تأليفها مع الألفاظ الفصيحة.

أشار إلى ضرورة استعمال الفصيح السهل الشائع المتداول والبعد عن التشدق في الكلام، ودعا إلى النطق السليم بالتدريب، والممارسة وتقويم اللسان وتصحيح العبارة مثل لسان الصبي

---

(١) أمين فكري: أسبقية العربية الفصحى على العامية، ترجمة خليل سمعان، مجلة اللسان العربي، مج٩، ج١ ص٢٩٥-٣٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يؤخذ بالتقويم والإصلاح من قبل المصلحين، وأشار إلى أن صعوبة المسالك إلى تقبل العربية الصحيحة مردّه إلى اعوجاج طرق التعليم وفساد مذاهب بعض المعلمين فيه.

والذي يفيدنا من هذا البحث هو أن أمين فكري لفت النظر إلى أن الألفاظ بعضها فصيح، وبعضها الآخر إن صُحِّح سيكون فصيحاً، ثم تقدّم بمشروع تفصيح العامي في التراكيب.

ومثال ذلك: الذي يفهم: الرجل (جه) يفهم جاء الرجل وهكذا.

والذي يفهم ما عليهش يفهم ما عليه شيء.

وهذا من أوائل المشروعات الداعية إلى تفصيح العامي، (وسنرى لاحقاً بذور هذه المشروعات في الفصل الثاني).

وسعى عبدالعزيز بن عبدالله في هذه القضية نحو تفصيح العامية عن طريق سلسلة من الأبحاث وذلك بمقارنة العاميات في الوطن العربي[١] تمهيداً للعمل على تقريبها من الفصحى من خلال بحثه عن العامية والفصحى في القاهرة والرباط وبلاد المغرب والشام، التي بدأها بالقاعدة التي أسس لها في أن أغلب الأصول، والقواعد الأساسية مشتركة بين الفصحى والعامية، وتمس اللهجات الدارجة في معظم أجزاء الوطن العربي. فأخذ مظاهر الوحدة والاختلاف في أصول الاشتقاقات اللغوية عند عامة المغرب والشام، وأتبعه بمعجم صغير للمصطلحات الموحّدة بين العاميات فيها حتى تتقارب الأصول المشتركة بين الأقطار العربية لتحقيق الوحدة اللغوية المشتركة.

إن هذا المشروع بداية مشروع كبير أو معجم كبير، وهو مشروع الوحدة اللغوية المشتركة بين الأقطار العربية لكنه لم يكن شاملاً جميع الأقطار العربية.

---

(١) عبدالعزيز بن عبدالله: العامية والفصحى في القاهرة والرباط مجلة اللسان العربي ع٢٢ ص٥٧-٥٨.
عبدالعزيز بن عبدالله: نحو تفصيح العامية في العالم العربي مجلة اللسان العربي ج١ ١٩٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسنفيد من هذا البحث في جمع الألفاظ الفصيحة المشتركة وتعميمها وتشمل مناطق عربية كثيرة ويكون توزيعها على شكل توصية.

وتناول هذه القضية الشاذلي القليبي تحت عنوان "بين اللغات العامية واللسان المدوّن"[١].

إذ عرض في بدايته لكتاب أحمد أمين "من زعماء الإصلاح في العصر الحديث" متحدثاً عن مشكلة الفصحى واستعمالها والعامية وميادينها.

ثم تناول هذه القضية بعرض آراء ابن خلدون للانطلاق منها في علاج العامية والفصحى وما بينهما من علاقات تعتمد التناقل من لغة أهل الحضر وأهل الأمصار.

وقدّم ملاحظاته متحدثاً عن التراث وصلته باللغة، وعن أهمية الدور السياسي الذي تضطلع به الفصحى (الجامع المشترك بين العرب جميعاً) فالعاميات تفرّق والفصحى تجمّع.

ثم بدأ بالتحدث عن كيفية تقريب اللغات المحليّة من اللسان المدوّن (الكتابة) وذلك باتخاذ لغة الكلام سلماً إلى اللسان المدوّن متناولاً لغة أهل القاهرة ونهوضها بسبب الاتصالات السريعة.

وتناول مستويين: مستوى الألفاظ الفصحى المتزايدة، وألفاظ الحضارة، ومستوى الصيغ الصرفية، والتراكيب النحوية، للتعبير عن الصيغ في التفكير الجديد.

ثم عرض لنموذجٍ آخر هو تقريب الشُّقة بين العامية والفصحى بتهذيب العامية، وأشار إلى تأثير الصحافة والإذاعة والتلفزة والاجتماعات، وطرح فيها رأيه في أن الفصحى على مستويين: فصحى للكتابة وفصحى للتخاطب، وهذه الأخيرة تنفي ما قد يبدو متكلفاً أو غريباً، فهي من

---

(١) الشاذلي القليبي: بين اللغات العامية واللسان المدون، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع٤١، ١٩٧٨ ص١٣٣-١٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللسان المدّون طرأ عليها استهجان أو إحجام عن استخدامها، وأنها لا تلتزم الحركات، والميزة الثالثة ما يخص الإلقاء وطريقة الأداء أي الحرص على لهجة الكلام المعتاد في مساحة النطق، وحيوية التراكيب، واستعمالها في لغة الإعلام، واستعمال المشترك من الألفاظ.

وتكمن أهمية هذا البحث في تشكُّل الفصحى في إطار الدور السياسي للوحدة اللغوية العربية، وتناول البحث المستويين اللغويين مستوى فصحى (الكتابة) و مستوى فصحى التخاطب الذي يبتعد عن المتكلف والغريب ويعمد الإسكان لا الإعراب، لكننا لسنا معه حين دعا إلى المحافظة والحرص على لهجة الكلام المعتاد في النطق، لأنّ هذا سيحدّ من عملية التواصل اللغوي بين الأفراد ويسبب النفور السمعي.

وجاءت دراسة شوقي ضيف تحت عنوان الفصحى المعاصرة[١]. لتؤكد أن الوسيلة التي يمكن أن تُتَّخذ لحل مشكلة الفصحى والعامية هي الفصحى المعاصرة التي تدور على ألسنة الكتاب وفي الإعلام، وهذا مما سيفيد البحث اللغوي، لأجل التواصل الحضاري في مشروع تفصيح العاميّة، إذ نراه في هذا البحث يلفت النظر إلى دور الإعلام وأثره الجلي في اكتساب الملكة اللغوية عن طريق السماع، واتخاذها وسيلة للتخاطب، ومنها ينطلق إلى العربية الصحيحة، وتصحيح ما يمكن تصحيحه في لغة الإعلام خاصّة. ولم يغفل الباحث الإطار التاريخي للفصحى، وأثر الإسلام في التحرك اللغوي، وتحدث عن قضية النهضة الحديثة العلمية، وأثرها في اللغة من حيث اكتساب الألفاظ في مختلف ميادينها، وأثر هذه الفصحى في الأدب والمسرح والصحافة الأوسع شأناً.

---

(١) شوقي ضيف: الفصحى المعاصرة، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع٤١، ١٩٧٨، ص١٩-٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتمثل الفصحى المعاصرة عنده في جانبين، الجانب الأول: استخدام طائفة من الأدباء ممن يكتبون المقالات، والقصص، لكثير من الكلمات الشائعة، التي يظن أنها عامية، غير فصيحة، بينما هي عربية فصيحة.

والجانب الثاني: نشوء صيغ وعبارات اضطرنا إليها التطور الحضاري ويظن لأول وهلة أنها غير فصيحة، حتى إذا عرضها العالمون باللغة على قواعدها وتصاريفها وجدوا لها وجوهاً من التخريج تجعلها عربية فصيحة.

وتَبيّن من ذلك مدى هيمنة الفصحى على الساحة الكتابية والكلامية من صحف وإذاعة وتلفزة. وانتهى مؤملاً أن هذه الفصحى المعاصرة ستزدهر وتنتشر حتى تحل محل العامية ولهجات التخاطب اليومية.

وتناول د. فخر الدين قباوة الفصحى والعامية[١] مؤكداً وجوب سيادة الفصحى، وضرورة تقريب الشقَّة بينهما وتقوية اللغة الفصحى، وذلك بتبسيط لغة القدماء وإزالة الوحشي والمتقعر، ونشر المفردات العربية الرشيقة الأصيلة أو المصنوعة عن طريق الاشتقاق والتعريب وجمع أصول الفصاحة وسيرورة الحياة اليومية الحاضرة في جمل بسيطة وعبارات موجزة.

وعرض للثروة اللغوية التي تعلي من منزلة العربية التي كان يتفاخر بها العرب القدماء، ويعدونها مظهراً من مظاهر الاعتزاز القومي، ونبّه على خطورة الدعوة المشبوهة لإحلال العامية مكان الفصيحة.

واقترح في بحثه أن تكون العربية بلا ازدواج، متحدّثاً عن مستويين لغويين أحدهما متمثّل بالعربية الفصحى، وما تتسم به من رشاقة (لغة الكتابة والإعلام والتعليم والفن)، أما الثانية فهي

---

(١) فخرالدين قباوة: اللغة العربية الفصحى أسباب انحدارها وعوامل النهوض بها، المجلة العربية، ع٢، ١٩٨٠، ص٤٩-٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربية الوسطى: التي تستمد مفرداتها وأساليبها من العربية، لكنها تتجاوز مقتضيات الإعراب فتعمد إلى التسكين وتتصرف في المفردات والجمل بما يناسب الحياة (بين العامية والفصحى).

أما شرط نجاح هذه المرحلة الانتقالية من العربية الوسطى إلى الفصحى فهو أن تستقل كل منهما عن الأخرى، لكل مستوى منهما ألفاظه، وأساليبه، وقواعده، مبيناً (فخر الدين قباوة) أنّ تيسُّر الانتقال من مرحلة اللغتين المتقاربتين مادّة، المختلفتين صورة، إلى لغة موحدة في الروح والإطار يؤدي إلى اتساع رقعة الفصحى شيئاً فشيئاً.

وقام بعملية الإعداد والتقويم حيث شدد على اتخاذ المسؤولية الواعية بمراقبة الكتب التعليمية والثقافية وتدقيقها لغوياً، وأشار إلى وجوب الترجمة الفصيحة. كما أشار إلى أنه لا مفر من دراسات ميدانية لما يستخدم من مفردات وتراكيب في الحياة العامة وإدراك صلتها بالعربية الأم التي تجلو ما يظن أنه عامي.

والذي يبنى على هذا البحث ويفاد منه هو إشارته إلى وجوب الدراسات الميدانية للغة على ألسنة العامة، وإمكانية الانتقال من المستويين اللغويين الفصحى والوسطى المتقاربتين مادة المختلفتين صورة، ولأجل هذا قمنا في هذا البحث بإجراء الدراسة الميدانية للغة التخاطب اليومية لمعرفة مدى إمكانية تفصيح العامي، وتداولها بشكل مُفصَّح، وهذا مما سنفيده من بحث أمين فكري، ودراسة الدكتور نهاد الموسى، كما سيأتي لاحقاً.

وتعد دراسة نهاد الموسى[١] الأكثر توسّعاً في موضوع التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، فهي من الدراسات المركزية في قضية الفصحى، وتفصيح العامي.إذ استجلى

---

(١) نهاد الموسى: قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، دار الفكر، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المؤلف طبيعة القضية بردها إلى إطارها التاريخي، وموقف القوم منها متناولاً هذه الظاهرة قبل الإسلام وبعده، مبيّناً مستويات اللغة الفصحى قديماً، متتبعاً عوامل الانفصام الذي أدى إلى ظهور الازدواجية، ونشأة العاميات في الأمصار الإسلامية.

وتوقف عند مستويات العربية في العصر الحديث وقام باستقراء مظاهرها من اقتسامها للوظائف والمواقف واتجاهات التفاعل بين الفصحى والعاميات في هذا التيار العريض.

ثم تناول بالدرس جملة من العوامل المتفاعلة بمسألة التحول تفاعلاً مباشراً، فعرض لدرس البحث اللغوي (اللهجات)، ودور التعليم وموقف الفنون الأدبية، ولا سيما الحوار القصصي والمسرحي، ووسائل الإعلام، ثم ألمع إلى موقف العقائد الفكرية، وموقفها من اللغة، واتخاذها وسيلة التفكير.

ورصد مدى تفاعل هذه العوامل، وتبيّن مظاهره في تقديرات الباحثين المحدثين. وتجاوز الشبهات والتحفظات المقدّرة والمقررة مما يكتنف هذه القضية، محاولاً صوغ مرافعة وافية لتسويغ مشروع التحول، واعتباره بنداً في خطة التنمية اللغوية، وفرعاً في خطة التنمية الشاملة، عارضاً أهمية القرار السياسي في ذلك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعُنيَ الطيب البكوش في دراسته[١] (الفصحى والدارجات) بتوضيح العلاقة بينهما قديماً وما تمخضت عنه تلك العلاقة من إشكالات، ثم عرض لإشكالية الفصحى والدارجة حديثاً، مقارناً بين الطرح الجديد والقديم، موضحاً أسباب اختلاف هذه الأطاريح.

كما تناولها في أثناء حديثه عن الحوار المسرحي.

وعرض لهذه القضية في الاستعمال (بشرياً) و(ميدانياً).

ويتساءل البكوش عن الفصحى والعامية هل هما لغتان أم مستويان من خلال المقياس الارتسامي*، والمفاهيمي، والنظامي، والصوتي، والمعجمي، والدلالي، والصرفي، والنحوي، والتركيبي والتعبيري؟

ثم عرض لدور القوى الفاعلة واتجاه التطور من عوامل التباعد في اللهجات، وانغلاق الاتصال وعوامل التقارب، وأثر هذه العوامل في مزج المستويات بين الفصحى والدارجة.

واستخلص من ذلك كله أنَّ الفصحى والدارجة لغتان من حيث الأنماط اللسانية، ويحكمهما تواصل وتفاعل لم ينقطعا قط بل إن أواصرهما قد زادت استحكاماً في العصر الحديث، فهذه الثنائية لها من الخصوصيات ما يسمح لها بالتأكيد أن التطور الذي تشهده العربية فصحى ودارجة ينزع شيئا فشيئا إلى جعلهما مستويين من لغة واحدة.

وقد لفتنا النظر إلى هذا البحث لما يبيّنه فيه باحثه من تمازج المستويين، وذلك نتيجة عوامل التقارب اللغوي، وتأثيره في الألسنة واكتسابها وتمثلها.

---

(١) الطيب البكوش: الفصحى والدارجات. مقال في كتاب: قضايا اللغة العربية المعاصرة، بيان الرباط الصادر عن مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي، الدورة السابعة، تشرين الأول، ١٩٨٩، ص١٧٤. * هو انطباع المستمع العربي عندما يسمع متكلما ينطق بالعربية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكننا لسنا معه في قوله بوجود لغتين (هما الفصحى والدارجة) من الناحية النظامية لأن بعض التعديل أو الحذف أو الزيادة أو ردّ العامي إلى الفصيح، وبعض التعديل للجمل والتراكيب، سيؤول إلى تفصيح العامي واستعماله دون أن تكون ثمة لغتان.

ومن نماذج البحث اللغوي الرامية إلى بناء مشروع لتفصيح العامي، دراسة محمد علي يونس رباع تحت عنوان الفصحى المنطوقة منزلتها في النظرية النحوية وصورتها في اللغة العربية(١).

وهي دراسة تنم على الرغبة في الكشف عما للفصحى المنطوقة من أثر تبوأت بسببه موقعها من النظرية النحوية، وعما لها من أثر في تحديد موقع النظرية النحوية منها ومن صورتها المحكيَّة في عصر الاحتجاج اللغوي.

لذا تتبّع الباحث ربّاع مظاهر التقعيد للفصحى المنطوقة في التراث النحوي، فعُني بجمع المظاهر الخاصة باللغة من التراث النحوي أي (مظاهر عامة تسعف على تبيان مدى اعتماد النحويين على الكلام المنطوق) في بناء النظرية النحوية وتوقف طويلاً إزاء الفوارق بين المنطوق، والمكتوب، وما لذلك من تأثير في وضع القواعد النحوية على أساس النطق.

ثم تناول الباحث منزلة الفصحى المنطوقة من النظرية النحوية وأثر المنطوقة في إمكانات الصواب اللغوي المستند إلى عناصر السياق، وتعدد الوجوه النحوية، واختلاف المعاني مع وحدة المباني. ووجّه المنطوق للنصوص المكتوبة، ثم تناول أثر المنطوقة في التحليل اللغوي، واستقرى أثر المنطوقة في الكشف عن بنية التراكيب والمفاهيم النحوية، وتأثيرها في التمييز بين

---

(١) محمد علي يونس ربّاع: الفصحى المنطوقة منزلتها في النظرية النحوية وصورتها في اللغة العربية (ر.ج) غير منشورة الجامعة الأردنية ١٩٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأنماط اللغوية المتقاربة، وتوقف عند مدى اهتمام المؤلفات النحوية بالعناية بقواعد الفصحى المنطوقة أيضاً.

وقدّم الباحث وصفاً لصورة اللغة المنطوقة على ألسنة الناس في عصر الاحتجاج اللغوي استناداً إلى نتائج النظر في النظرية النحوية، وعرض للغة التدريس في أقسام اللغة العربية في الجامعات للكشف عن ملامحها وسماتها.

وتستشعر نتائج هذا البحث في التخطيط اللغوي المعاصر تسويغاً وتوجيهاً واستثماراً لمظاهر المنطوقة التراثية في بعض المناشط اللغوية المعاصرة.

ولعل ما يسعى إليه البحث أن يَعْضُد الآراء بدراسة ميدانية؛ للوقوف على المشهد الحي للاستعمال اللغوي للمتكلمين، وتيسير عملية التفصيح وتقديم البدائل المناسبة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

نبذة عن مشهد اللغة العربية قديماً

إلى العصر الحديث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نبذة عن مشهد اللغة العربية قديماً إلى العصر الحديث

العربية في الجاهلية إلى العصر الحديث

كان العرب قديماً يتكلمون اللغة العربية بالسليقة من السماع والتداول اللساني دون تنظير أو تلقين مُتَعلَّم مع الإعراب لمفرداتها وتراكيبها.

وقد كان العرب في الجاهلية مجتمعاً منغلقاً نسبياً وهذا ما تتميّز به غالباً بعض المناطق في الجزيرة العربية " أما القاطنون أطرافها فقد وُجِدَ نوع من السكان المستقرين المسمون بالحضر الذين مارسوا الأعمال التجارية والزِّراعية والصناعية – فتواصلوا مع غيرهم– وعلى هذا وجد أنموذجين(*) من السكان البدو والحضر"(١).

وكان لهذه القبائل العربية لهجات أيضاً، على أنّ هذا لم يحد من تواصلهم التجاري والأدبي فقد "جعلوا من أسواقهم التجارية أسواقاً أدبية كانت من أسباب نقاء اللغة وصفائها وتقريب مصطلحاتها وتهذيب ألفاظها"(٢).

فعلى الرغم من وجود اللهجات العربية القديمة إلا أنها كانت تتشكّل في صورة واحدة تقوم على عمومية الاستعمال دون أن تكون حكراً لأحد، ذكر السيوطي أن الفارابي قال في أول كتابه المسمّى بالألفاظ والحروف: "كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ وأسهلها

(*) الصحيح هنا "أُنموذجان" ووردت في الأصل انموذجين لأنه نائب فاعل مرفوع بالألف لأنه مثنى.

(١) صالح أبو دياك: معالم في التاريخ الإسلامي منذ عهد النبوة إلى نهاية العهد الأموي، منشورات مكتبة عمان، ١٩٨٥، ص٢٦.

(٢) عارف النكدي: مقال بعنوان اللغة العربية بين الفصحى والعامية، المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية بدمشق، ١٩٥٦، ص٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على اللّسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً وإبانة عما في النفس"[١] "وقال معاوية يوماً: من أفصح الناس؟ فقال قائل: قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات، وتيامنوا عن كشكشة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر، ليست لهم غمغمة قضاعة، ولا طمطمانية حمير، قال: من هم؟ قال: قريش"[٢].

إنّ هذين النّصين يقرّان بأنّ لهجة قريش هي الأفصح من بين المستويات اللغوية الأخرى، ويدلاّن على أنّ قريشاً كانت تأخذ من القبائل أفصح كلامها وأنقاه وأصفاه بعيداً عن التقعر والوحشية، والعيوب النطقية، و لم تغفل عن أسهلها مأخذاً، فسلس قياد العربية لها وهي التي كانت مركز استقطاب للحجيج، وبيئة مقدّسة لوجود الكعبة في مكة وما ارتبط بها من طقوس دينيّة في موسم الحج، ومن تواصل بأنواعه من لقاءات وأسواق مثل المربد، وعكاظ، والكناسة، وغيرها وقد جعلت منها ساحة للتعامل الكلامي التواصلي المادي، والتواصل الشعري اللغوي الذي يقام على اللغة التي يُتواصل بها جماهيرياً والتي تشكّلت لهم مع الزمن اللغة المشتركة بين القبائل العربية المتواصلة. وممّا يؤكّد هذا التواصل في اللغة المشتركة الشعر الجاهلي الذي خلا "من صفات اللهجات التي اشتهرت بها القبائل العربية، مما يجعلنا نرجّح أنّ اللغة الأدبية كانت موحّدة قبل الإسلام وبعده"[٣]. فقد "كان لا بد لأولئك الشعراء أو الذين جاءوا من بيئات متباينة

---

(١) السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت(٩١١)، الاقتراح، دار المعارف، سوريا–حلب، ص٢٤.

(٢) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت (٢٥٥)، البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، ج٣، ص٤٩٢.

(٣) إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥، ط٣، ص٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن ينظموا شعرهم بلغة خالية من عنعنةٍ أو عجعجةٍ أو كشكشةٍ لينال إعجاب سامعيه ولا يكــون في موضع سخريتهم وهزئهم"(١).

وما يؤكّد عناية القدماء الجاهليين بالشعر، وفصاحته، أن شعراءهم كانوا يعنون بقــصائدهم، حتّى إنها لتسمّى الحوليات، أو المنقّحات، أو المحكمات، ليرتقي بقصائده إلى مستوى أفصح مــن لهجته، يتدبر ألفاظها، ويبتدع أساليب وصيغاً جديدة فيها، ويفتخر بهذا الإبداع والابتكار وكل هذا حتى يقال عنه إنه شاعرٌ فَحْلٌ خِنذيْذٌ مُفْلِق(٢).

إنّ اللغة الأدبية التي تتمثّل بها اللغة المشتركة التي حاولت التقريب بين اللهجات وتحوّلهــا إليها مثّلت الفصاحة المتداولة (النموذج الأعلى) ذات اللقاءات الأدبية والدينية والتجاريــة جعلهــا بؤرة مرتكز التقارب والتحوّل اللهجي، وإذا ما عاد كل منهم إلى قبيلته عاد إلــى لهجتــه الأقــل مراعاة للفصاحة، وهذا لا يعني أن لا يتأثّروا بتلك اللغة المشتركة عند عــودتهم بــل يتــأثرون وينشرون الأساليب، والنماذج العليا بين أبناء قبيلتهم، وقد نتج عن هذا المــشهد تناســب ســياقي طردي للسلوك اللغوي العفوي وفقاً للحاجة المقتضاة، أو السياق المتحوّل.

إن هذه اللغة المشتركة المبنية على تناسق لغوي متعدد من لهجات تعدّ كلها فصيحة مع اختلاف تراتبها وتصرفاتها، ووجوهها، قد تآلفت في لغة موحّدة، يقول ابن جني " إنما انتقل من لغته إلى لغة أخرى مثلها فصيحة، وجب أن يؤخذ بلغته التي انتقل إليها كما يؤخذ بها من قبل انتقال لسانه، إليها حتى كأنه إنما حضر غائب من أهل اللغة التي صار إليها أو نطق ساكت من أهلها"(٣).

---

(١) إبراهيم أنيس: المرجع السابق نفسه ص٤٠.

(٢) انظر الجاحظ: البيان والتبيين، مرجع سابق، ج٢، ص٩.

(٣) ابن جني: أبو الفتح عثمان الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج١، ص١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما هذا الإقرار بفصاحة اللهجات العربية عند ابن جني، إلاّ دليل على وجود استعمالات وأساليب مختلفة في طريقة الأداء، واستعمالات للألفاظ الفصيحة أو الأقل فصاحة، ولذلك يقرّر لهذا الحضور اللهجي المتنقل بين لهجة وأخرى تسويغاً للاستعمالات والألفاظ المختلفة (اللهجات) "فليس اختلاف اللغات قادحاً في الأنساب"(١).

ولا يتناقض الاعتراف بفصاحة اللهجات مع ما ذكروه من اللغات أو (اللهجات) من أنها: مذمومة ومستقبحة(٢): ومن ذلك الكشكشة: وهي في ربيعة ومضر؛ يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شيناً، ومن ذلك الكَسْكَسة: وهي في ربيعة ومضر يجعلون بعد الكاف أو مكانها في المذكر سيناً على ما تقدم وقصد بذلك الفرق بينهما، ومن ذلك الفحفحة: في لغة هذيل يجعلون" الحاء" "عيناً". ومن ذلك العجعجة: في لغة قضاعة يجعلون الياء المشدّدة جيماً. ومن ذلك الاستنطاء: في لغة سعد بن بكر، وهذيل، والأزد، وقيس، والأنصار، تجعل العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء. ومن ذلك الشَّنْشَنَة: في لغة اليمن تجعل الكاف شيناً (٣).

ومن ينظر في هذه اللهجات وخصائصها يجد أن الصّلة بين قديم اللهجات وحديثها على صلة مع العربية الحاضرة.

إنّ هذه اللهجات لا تخرج "عن إطار الأداء الصوتي وعما سمّاه النحاة بالإبدال والحذف واختلاف النبر، والوقف، والتنغيم، ولم تكن نظرة علمائنا إلى اللهجات مقرونة بالريبة والتخوف

---

(١) ابن فارس: أبو الحسن أحمد بن زكريا الرازي اللغوي ت (٣٩٥هـ)، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر فاروق الطبّاع، مكتبة المعارف بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ ص٥٩.

(٢) السيوطي: عبدالرحمن جلال الدين: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه: محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ١٤٠٨-١٩٨٧، ج١، ص٢٢٣.

(٣) السيوطي: الاقتراح، مرجع سابق، ص ٨٣-٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بقدر ما كانت مشوبة بالاستنكار وعدم الرضا بها ولهذا صنّفوا اللهجات في أدنى مراتب الفصاحة لا خارجها ووصفوها بالمذمومة والقبيحة والرديئة والمرغوب عنها "[١].

أما الترادف وهو استخدام أسماء مختلفة لشيء واحد فليس بالضرورة أن يعد مشكلة، ولكل منهم وجهة يراها في اصطلاح مسمّياته الخاصّة من رؤى متعددة في المسمى الواحد، فمثلاً ما ذكره الجاحظ عن واصل بن عطاء " كان إذا أراد أن يذكر البُرّ قال: القمح، أو الحنطة، والحنطة لغة كوفية، والقمح لغة شامية، هذا وهو يعلم أن لغة من قال بُرّ أفصح من لغة من قال قمحاً أو حنطة"[٢].

فتلك رؤية لا بأس بها ما دامت تحت إطار المقبول من الوجهة اللغوية الفصيحة التي تدخل ضمن تراتب الأقل فصاحة وليس بخارجة عن إطارها.

الفصحى في العصر الإسلامي:

ظهر الإسلام بعد العصر الجاهلي في بيئة مكّة، فأنزل القرآن الكريم باللغة العربية التي تجمع البلاغة والفصاحة والبيان والإعراب، وقد أخذت من كل لهجة بطرف، فقد أتى على سنن العرب في كلامها وتوسّعها في مخاطباتها بمأتى يقول ابن فارس "ولو أنه لم يعلم توسّع العرب في مخاطباتها لعَيَّ بكثير من عِلْمِ مُحْكَمِ الكتاب والسنة"[٣].

---

(١) مسعود بوبو: الفضائيات العربية واللهجات العربية، مجلة الفيصل، ع٢٥٩، ١٩٩٨، ص٤٦.

(٢) الجاحظ: البيان والتبين، مرجع سابق، ج١، ص١٧.

(٣) ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، ص٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم أخذ الإسلام في الانتشار فـ " انتشر بالفتوح إلى كثير من الأقطار فكان ديناً عاماً ذا أصول وأحكام وأصبح له مصطلحات خاصة لا عهد للغة بها من قبل"(١).

وهذا التحوّل اللفظي، أي من ألفاظ جاهلية إلى ألفاظ إسلامية، أو ألفاظ يقتضيها الحال التي أوجدها الدين الجديد، وكذلك التحول في العادات والتقاليد التي تنحّت عن عاداتها الجاهلية إلى العادات الإسلامية، وتتقرّب إليه بالحماسة التي اكتنفتهم، أدى ذلك كلّه إلى الاستغناء عن الألفاظ والعادات الجاهلية التي لم يعد لها داعٍ أو حاجة في المجتمع الجديد، كما أحدث الإسلام تغييراً كبيراً في أساليب التعبير " كقولهم: أطال الله بقاءَك بعد أن كانت بدعاء العزّى، والألفاظ مثل: المرباع والنشيطة وغيرها"(٢).

إن اللغة العربية في الجاهلية وصدر من إسلامها كانت لغة فصيحة مُعْرَبة، ومصداق ذلك أنَّ القرآن الكريم تحدى المتكلمين بها في البلاغة والفصاحة والبيان والإعراب " الذي هو جليها والموضّح لمعانيها"(٣)

وتمثل مفهوم الفصاحة في محاكاة لغة القرآن الكريم وموافقته، وأصبح أسلوبه المثل الأعلى الذي يفتخر به في الحديث قال أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر: " ليست لكم معاشرَ أهل البصرة لغةٌ فصيحةٌ إنّما الفصاحة لنا أهلَ مكّة. فقال ابن المناذر: أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن، وأكثرها له موافقة"(٤). وهذا يعني أن مقياس الفصاحة مكانياً (جغرافياً) يتمثل في مكان

---

(١) أنيس المقدسي: لغتنا وأثر التطور الاجتماعي فيها، مجلة الهلال، ع٢، ١٩٥٥، ص٧٨.

(٢) كتاب الهلال: تاريخ اللغة العربية باعتبار أنها كائن حي نام خاضع لناموس الارتقاء، مطبعة دار الهلال، ص٦٦. والمرباع: هو ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية والنشيطة: ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى بيضة القوم أو ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل الوصول إلى الموضع الذي قصدوه.

(٣) الزبيدي: أبو بكر محمد بن حسن بن مذحجَّ ت(٣٧٩هـ)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، بمصر، ص ١١.

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين، مرجع سابق، ج١، ص ١٨- ١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نزول القرآن الكريم، أو في المقاربة اللفظيّة والبلاغية للقرآن الكريم، كما في لهجة قريش ومكانها.

إنّ " العقيدة الإسلامية هي التي جعلت من العربية الفصحى نموذجاً مفروضاً، ومثلاً أعلى يقتفيه كل كاتب عربي جعل من العسير بمكان أن نحصل على صورة واضحة للنمو والتطور الذي أصاب العربية ككل لغة حية"[١] فقد أصبحت اللغة واحدة مستعملة بين أفرادها على وَفْقِ نواميس اللغة الجديدة، ثم تكفّل النحويون واللغويون بإثبات ما يؤخذ منها، وما يُترك، وما يجوز من أساليب وتراكيب وما لا يجوز، لذلك لم يسجلوا تلك التغييرات الحادثة في المجتمع الجديد، مؤمنين بثبات اللغة، وإلزامها بثبات الدين الجديد وقدسيته فهم " يعتقدون أنّ هناك لغة واحدة هي اللغة الفصحى التي يفهمها عامة سكان الجزيرة العربية خلال فترة ظهور الإسلام، فهذه اللغة التي قام النحاة بوصف أحوالها الصرفية والتركيبية ومفرداتها إذا ما حدث شك أو خلاف بين العلماء في قضية من قضاياها، فإن مرجعهم في ذلك دائماً هو الرَّاوي، أي الناطق الفصيح من العرب البدو، وهذه الدراسة العظيمة الدقيقة للغة أدّت إلى توحيد اللغة الفصحى[٢]

فأصبح المعيار الديني، أو الاعتبار الديني، هو المرجع الرئيس للغة والنحو، بالإضافة إلى لغة الشعر، والخطابة التي انتظمت في تناسقٍ لغويٍ واحد " فأقيمت –عليها– صفة العربية الفصحى"[٣] فهذا المعيار الديني حوّل المجتمع الإسلامي إلى مجتمع لغوي " فمن لوازم كل حضارة جديدة أن تصطحب معها ثروة من الكلمات الخاصة بالتعبير عن أفكارها، ويبدأ الشعب المغلوب في التشبع بهذه الأفكار، ثم الاعتماد عليها، والدفاع عنها، وبذلك تتم السيطرة

---

(١) يوهان فك: العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: رمضان عبد التواب، الناشر مكتبة الخانجي، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠، ص ١٤.

(٢) جاك كرانت هنري: اللغة العربية في القرون الوسطى، مجلة اللسانيات، ع٥، ١٩٨١، ص٣٦.

(٣) نهاد الموسى: قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي، مرجع سابق، ص ٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والانتصار في المعركة اللغوية للغالبين بسيادة لغتهم على المغلوبين[١]. فكان الدفاع عن لغة القرآن، فلم تكن دراسة النحاة للهجات إلا خدمة النص القرآني وتفسيره، وتوجيه قراءاته، ووضع أصول للعربية يعتصم بها الناس[٢].

وعلى الرغم من أنَّ الفصحى بُنيَتْ من ائتلاف لهجات مختلفة، إلا أنها قد تناسقت في بنية واحدة مُتآلفة.

(١) فتحي أنور الدابولي: صراع اللغات، مجلة المنهل، مج٥٠، ع٤٧٢، (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، ص٦٣.

(٢) محمد عبدو فلفل: آفاق الدرس اللهجي في التراث العربي، مجلة أفاق الثقافة والتراث، ع١٦، ١٩٩٧، ص١٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الازدواجية العربية:

يقول يوهان فك "يتطلب معنى اللحن اللُّغوي أن يكون الصواب متقدّماً عليه"(١). وعليه نقول وكذلك يتطلّب مصطلح العامية أن تكون الفصحى، سابقة عليه، ومصطلح الازدواجية هو وجود مستويين لغويين فصيح وعامي، تستخدم الأولى في الكتابة والرسميات والأغراض الجادة والأخرى تستعمل في الهزل ومواقف الحياة اليومية. فهي تتمثّل في " نموذج لغوي عالي التصنيف، وفي الغالب أكثر تعقيداً من حيث القواعد، فوقي المكانة كتبت فيه كمية كبيرة من الأدب عبر عصور منصرمة، أو لدى جماعات سالفة، ويتعلّم الناس هذا النموذج بأساليب التعليم الرسمية، ... بينما أطلق على النموذج الآخر اسم المنخفض التصنيف، وهو ما يقابل العامية"(٢) فـ" اللحن محدث ولم يكن في العرب العاربة الذين تكلّموا بطباعهم السليمة"(٣).

العرب قديماً تكلّموا على السليقة التي اعتادوا عليها سماعاً، كما شهد بذلك الزبيدي قائلاً "ولم تزل العرب في جاهليتها وصدر من إسلامها تبرع في نطقها بالسجية وتتكلّم على السليقة"(٤) "وهي اللغة التي غلبت على لسان المتكلم بحكم البيئة البدوية كالأعراب الذين ملكت الفصاحة ألسنتهم فلم يتطرّق إليها الفساد فهم لا يتكلّمون بها إلاّ معربة واضحة المقاطع ومن دون أن يتكلّفوا الإعراب أو تجنّب اللحن وشاهد على هذا:

---

(١) يوهان فك: العربية دراسات في اللغة، مرجع سابق، ص٢٤٣.

(٢) سميح أبو مغلي: دراسات لغوية، مطابع أطلس، عمَّان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص ١٣٦، نقلاً عن Charilles Freguson: Diglossia. 328.

(٣) ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن زكريا، (ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، انظر مادة "لحن".

(٤) الزبيدي: أبو بكر محمد بن حسن بن مذحج (ت٣٧٩هـ)، لحن العوام، تحقيق: رمضان عبد التواب، الطبعة الأولى، ١٩٦٤، ص ٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولست بنحوي يلوك لسانه ولكن سليقيٌ أقول وأعرب[١]

فسمة الإعراب هي سمة العربية الفصحى السليقية، ولا تكتفي السليقة بمعناها الإعرابي بل تعني أيضاً " التصرّف في وجوه الكلام بالاشتقاق والتعريب والقياس على ما وضعته العرب وتكلّمت به من صيغ وأساليب حتى ما يتعلق منها بالبلاغة ومطابقة الكلام لمقتضى الحال[٢].

لكن ما الذي يجعل اللغويين والنحويين يسعون لتثبيت الأصول اللفظية والقواعد النحوية وما بذور تلك المبادرات؟

في هذه الفترة، أي في فترة مبادرات اللغويين والنحويين لتثبيت الأصول اللفظية والقواعد، ظهرت حركة التنقية العربية التي قام بها المحافظون على لغتهم من النحاة، وقد كان علم النحو في بدايته بعيداً عن أي تأثير دخيل، وهذا يدل على الدافع الديني الذي تمثل في بناء الفصحى وقواعدها. يقول جيرارتروبو "إن علم النحو أعرب العلوم الإسلامية وأبعدها عن التأثير الأجنبي في طوره الأوّل[٣] "فقد كانوا حريصين على أن تبقى هذه اللغة مفهومة لدى جمهور المسلمين لذلك وضعوا شبه معاجم للمفردات اللغوية وأثبتوا أصول النحو والصرف[٤] وقد عمل هذا الجهد "على إيجاد معيار كتابي في صورة نظام أبجدي مع ما يصحب ذلك من نشر معجم[٥] الألفاظ الفصيحة ومعجم التراكيب الصحيحة والمشتركة لدى جمهور المسلمين وغيرهم للذين تمسّكوا بالدين الجديد

---

(١) عبد القادر المغربي: السليقة في الكلام، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٥٧، ص ٧٨-٧٩.

(٢) عبد الله كنون: السليقة عند العرب المحدثين، مجلة اللسان العربي، ع٢، ١٩٦٥، ص ٦٥.

(٣) جيرار تروبو: نشأة النحو في ضوء كتاب سيبويه، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع١، ١٩٧٨، ص ١٣٩.

(٤) عبد المجيد التركي، قضية الفصحى واللهجات في نظر بعض الأدباء المعاصرين، مجلة حوليات الجامعة التونسية، ع٢، ١٩٦٥، ص٥٨.

(٥) تمام حسان : الأصول. دراسة ابستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي، دار الثقافة – الدار البيضاء – المغرب، ١٩٩١، ص٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلال الاستعمالات اللغوية والاحتكاك في الاتصال اللغوي والحاجة. فصارت لغة البدو الأعراب هي اللغة أو النموذج الذي يؤخذ به من جميع وجوهه. لما توارد من الأخبار عنهم أنهم لا يلحنون وأنهم أصحاب سليقة معربة جاء في حكايته "عن الفراء مع هارون الرشيد أن الفراء لحن، فقال: إنّ طباع أهل البدو الإعراب وطباع أهل الحضر اللحن"[١] لكن هذا اللحن لا يشكّل معنى الازدواجية اللغوية ولا يعني ما ذكره الفراء أن اللحن سليقة الحضر دائماً، بل لا بدّ من وجود مسُّوغ قد سوّغ له هذا القول " قال ابن جني: ولو علم أهل مدينة أنهم باقون على فصاحتهم، لا يعرض للغتهم شيء من الفساد، لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر، وكذلك لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من الخلل والفساد، لوجب رفض لغتها"[٢].

إن هذا المقياس " مقياس الخلل والفساد " هو الرد الذي نعدّه نقطة التحوّل في التوثيق اللغوي اليدوي المأخوذ عن أهل العربية الصحيحة.

ويعلّل هذا الفساد والخلل الذي لحق بالعربية الفصحى نتيجة التأثير الأعجمي والاختلاط فيهم، فلم تسلم منه بعض اللهجات[٣].

أما اللهجات الأخرى المأخوذ عنها وعليها أقيمت العربية التي لم يصبها الخلل والفساد نتيجة الاختلاط بالأعاجم فهي "من قريش وقبائل العرب: هُم قيس وتميم وأسد فإنّ هولاء هم الذين عنهم أخذ أكثر اللغة ومعظمهُ، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم

---

(١) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، مرجع سابق، ص١٣١.

(٢) السيوطي: الاقتراح، مرجع سابق، ص ٢٤ وانظر – المزهر للسيوطي أيضاً ٢١٢/١.

(٣) السيوطي: السابق نسفه، ص ١٩– ٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذيل وبعْض كنانة وبعض الطائيين"[١]. وهي لهجات كان يتوافر فيها الانغلاق النسبي الذي يفسِّر احتفاظها بصفة العربية السليقيّة الأولى[٢]. ويمكن أن نضيف إلى تلك اللهجات ما ذكره قدور عن سيبويه من أنه ينقل عن قبائل لم تؤخذ اللغة عنها[٣] ويبدو أنه وجد فيها ما يوثق بعربيته، وهو ما وافق وجهاً من وجوه العربية أو منحى من مناحيها التي يقاس عليها فيها، وهذا يدل على توسع سيبويه وبعد نظره في الأخذ قبل الرد.

وقد حاول ابن فارس ضبط الخلاف اللهجي للفصيح فقال[٤] " اختلاف لغات العرب من وجوه:

أحدها الاختلاف في الحركات كقولنا "نَستعينُ" و "نِستعين" بفتح النون وكسرها، قال (الفراء): هي مفتوحة في لغة قريش، وأسد، وغيرُهُمْ يقولونها بكسر النون.

والوجه الآخر الاختلاف في الحركة والسكون، مثل قولهم "مَعَكُم" و"مَعْكم" بفتح العين وتسكينها، أنشد الفراء:

ومَنْ يتَّقِ فإنَّ اللهَ مَعْهُ ورزقُ اللهِ مُؤتابٌ وغادِ.

ووجه آخر: هو الاختلاف في إبدال الحروف نحو "أولئك" "وأولالِكَ ".. ومنها قولهم "أنّ زيداً " "وعنّ زيداً ".

ومن ذلك الاختلاف في الهمز والتليين نحو "مستهزؤن" "ومستهزُون".

ومنه الاختلاف في التقديم والتأخير (في الحروف) نحو "صاعقة" "وصاقعة".

ومنها الاختلاف في الحذف والإثبات نحو: "استحيَيْت" "واستحيْت" و"صدَدْت" و"أصدَدْت".

---

(١) السيوطي: الاقتراح، مرجع سابق، ص ١٩.

(٢) بتصرّف عن الطيّب البكوش مقال بعنوان: الفصحى والدارجات، من كتاب "قضايا اللغة العربية المعاصرة"، مرجع سابق، ص ١٧٤.

(٣) محمد أحمد قدور العربية ومشكلة التطور، مجلة عالم الفكر، مج ٢٢، ع١، ١٩٩٣، ص٢٨٩-٢٩٠.

(٤) ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، انظر تحت باب انتهاء الخلاف في اللغات ٥١-٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنها الاختلاف في الحرف الصحيح يُبْدَل حرفاً معتلاً نحو: "أما زيد" "وأيْما زيد".

ومنها الاختلاف في الإمالة والتفخيم في مثل "قضى" "ورمى" فبعضهم يفخّم وبعضهم يميل.

ومنها الاختلاف في الحرف الساكن يستقبله مثله، فمنهم من يكسر الأوّل ومنهم من يضم فيقولون: "اَشترَوُ الضلالة" و "اشتَرَوِ الضلالة ".

ومنها الاختلاف في التذكير والتأنيث فإن من العرب من يقول: و"هذه النخيل" "وهذا النخيل"(*).

ومنها: الاختلاف في الإدغام نحو: مهتدون ومُهَدُّون.

ومنها: الاختلاف في الإعراب نحو "ما زيدٌ قائماً" "وما زيد قائم" و "إن هذان" وهي بالألف لغة لــ (بني الحارث بن كعب) يقولون: لكل ياء ساكنة انفتح ما قبلها.

ومنها: الاختلاف في صورة الجمع نحو "أسرى" و"أسارى".

ومنها: الاختلاف في التحقيق والاختلاس نحو "يَأْمُرُكم" و "يأمرْكم" و "عْفِيَ له" و "عُفْي له".

ومنها: الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث مثل "هذه أُمّهْ " و"هذه أمَّتْ".

ومنها: الاختلاف في الزيادة نحو "أَنْظُرُ" و"أَنظورُ".

ومنها الاختلاف: اختلاف التضاد وذلك قول "حِميَر" للقائم "ثبْ" أي اقعد.

وقد قال: تقع في الكلمة الواحدة لغتان: كقولهم "الصِرام" و"الصَّرام" أي بالكسر والفتح للصاد... والحِصاد، والحَصاد.

تقع في الكلمة ثلاث لغات نحو: "الزُّحاج" و"الزَّحاج" و"الزِّحاج" بالضم والفتح والكسر للزاي.

(*) يبدو أنها تكررت أي القصد هذه النخيل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتقع في الكلمة أربع لغات: "الصِّداق" و"الصَّداق" و"الصَّدُقة" و"الصُّدْقة".

وتكون منها خمس لغات: "الشَّمال" و"الشَّمِل" و"الشَّمَل" و"الشَّأْمَلْ" و"الشَّمْل".

وتكون فيها ست لغات(*): "قُسْطاس" و"قِسْطاس" و"قُصْطاس" و"قُسْتاس" و"قُسَّاط" و"قِسَّاط".

ولا يكون أكثر من هذا"(١).

ومن ينظر في هذا الضبط في اللهجات يجده في الحركات أو زيادة حروف أو إبدال حروف أو تحقيق همز أو تليينها وهي موجودة في لهجاتنا أيضاً مع التغيير نفسه.

إن هذا النموذج في العرض للدرس اللهجي إنما هو توجيه للوجوه جميعها في تراتبها للفصيح، ولو كانت عند قوم دون غيرهم آخذين بها لوجودها ظاهرة نطقيّة معربة، فذكروها لنشر الفصحى، ولو كان وجهاً ضعيفاً، فعلماؤنا – قديماً– خالفوا ما كان شائعاً، أي أخذوا بالشواذ لإخراج هذه الحالة الشاذة مخرج الوجهة المخالفة، وهي من الأقل فصاحة، ومراعاة للاستعمال والتداول. يقول الجاحظ: "والعامة ربّما استخفّت أقلّ اللغتين وأضعفهما، وتستعمل ما هو أقل في أصل اللغة استعمالاً وتدَعْ ما هو أظهر وأكثر" (٢) وكذلك نرى في فصيح ثعلب الذي يقول "ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا فلم تكن إحداهما أكثر من الأخرى، فأخبرنا بهما وألفنا أبواباً من ذلك" (٣) أي له وجه من التخريج.

---

(١) ابن فارس الصاحبي في فقه اللغة، باب انتهاء الخلاف في اللغات، ص٧٢.

(*) وفي الحاشية: وهكذا في ص وفي ب، ط: قسطاس بدلاً من قسطاط الصواب رواية ص لأن قسطاس ليس فيها إلاّ لغتان، أمّا قسطاط ففيها ست لغات.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٣) ثعلب: أبو العباس ت (٢٩١هـ)، الفصيح، تحقيق: عاطف مدكور، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤، ص٢٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقضية الأخرى هي قضية التعريب التي كانت نتيجة الفتوحات الإسلاميّةَ حيث أصبحت اللغة تتأثر بلغة الأعاجم و "من المتعذر أن تظل لغة بمأمن الاحتكاك بلغة أخرى[١].

إن هذه الفتوحات خرجت ومعها عادات نطقها وأصناف كلامها وتعدّده ووجوه التعابير المختلفة أي "خرجوا يحملون لهجاتهم المتباينة على هذين الحدين المتقاربين إذ لم يكن سكان مكة والمدينة ولا الحجاز هم الذين قاموا بحركة الفتح وأقاموا الدولة العربية الإسلامية وحدهم دون غيرهم"[٢]. فبدأ التمازج والاختلاط في الألسنة وسيلة التعبير الأولى.

ومن مشاهد هذا الاختلاط أن بدأ التشوه في النطق من مخارج الحروف، وكذلك بدأت عملية نقل العلوم والآداب والعادات النطقية والأساليب الأعجمية التي بدأت تؤثر في تركيب الجمل. فأخذوا يعبّرون عما يريدون بما توافقهم لهم ألسنتهم فـ "لم يكن من السهل على العربي أن يتابع كلامه بالفهم الصحيح، وكان لابدّ أن يؤدي ذلك إلى إدراك العربي معنى الخطأ اللغوي والخلط في التعبير"[٣]. فهذا يعيق الفهم والسمع (الذي كان مأخذ العربي واعتماده).

فهذا اللحن كما يقول طلال علامة " هو لحن النطق الناتج عن عدم تمكن غير العرب الطارئين على العربية من نطق الأحرف الحلقية، وبعض اللسانية اللثوية، وبعض الأسنانية، وهو اللكن"[٤].

فهؤلاء الأعاجم دخلوا العربية تحت إذن الإسلام، فكثروا فشاعت الألفاظ الأعجمية، والأساليب الخاصة بهم، وذاعت الترجمة وكثر الدخيل، في الألفاظ والتراكيب خاصة. يقول الجاحظ: "ولا بد للتّرجمان من أن يكون بيانه في الترجمة في وزن علمه في وزن المعرفة...

---

(١) علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، مكتبة نهضة مصر، الطبعة الخامسة، ١٩٦٢، ص٢٢٩.

(٢) نهاد الموسى: قضية التحول إلى الفصحى، مرجع سابق، ص ٧٠.

(٣) يوهان فك: العربية، مرجع سابق، ص ٢٥٤.

(٤) طلال علامة: قضية الصفاء اللغوي وزمكانية اللحن والتصحيح، مجلة العرفان، مج٧٧، ع٩،١٠، ١٩٩٣، ص ١٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومتى وجدناه قد تكلّم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضَّيم عليهما لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها وتعترض عليها"[١].

أمثلة تمثل نشأة الازدواجية

إن أية لغة دائماً عرضة للتغير تبعاً لتغير الظروف يتنازعها فيه عاملان هما: المحافظة والتغيير"[٢]

إنّ أول لحن سمع هو الذي دعا أبا الأسود الدؤلي إلى وضع علامات الضبط من فتح وضم وكسر وهذا هو المشهد الأولي للحن، فقد كان أول الأمر تثبيت حركات الإعراب، ثم تطوّر هذا اللحن إلى أن وصل إلى: إبدال الحروف أو زيادتها أو حذفها وغيرها، وهذا ما سنلقي عليه الضوء من خلال كتاب لحن العامة للكسائي ت (١٨٩) وكان الكسائي كثير الاستشهاد بالقرآن الكريم لعهده القريب من عصر الإسلام الذي أصبحت فيه لغة القرآن هي المعيار لهذه اللغة، كما استشهد بكلام العرب وأشعارهم وتتبع الأخطاء أو اللحن[٣]، بذكر الصحيح ثم الخطأ (بغية التصحيح لا المتابعة للتطورات اللغوية):

- **الخطأ في الحركة:**

تقول: حَرَصْت بفلان بفتح الراء قال الله عزّ وجل: (وما أكثر الناس ولو حَرَصت بمؤمنين) [سورة يوسف: آية ١٠٣] ولا تقول: تحْرَص بفتح الراء قال الله تعالى: (إن تحْرِص على هداهم فإنّ الله لا يَهْدِي من يُضلّ) ص٩٩-١٠٠ [سورة النحل: آية ٣٧].

---

(١) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت(٢٥٥)، الحيوان، تحقيق: يحيى الشامي، دار ومكتبة منشورات الهلال، ١٩٩٢، ج١، ص٥١.

(٢) حسن ظاظا: اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة، ١٩٧١، ص٩٨.

(٣) كما كان الفضل للحكّام أيضاً في تعريب الدواوين كما فعل عبد الملك بن مروان ت٨٦ الذي جعل اللغة الرسمية هي العربية الفصحى فلم يكتف التنبيه في المؤلفات في الحرص على اللغة.

* وقد أشار إلى ذلك بالأمثلة المطروحة وليس بالقول.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **الخطأ في التشديد*:**

وتقول: أنا على المُضيِّ إلى فلان بتشديد الياء قال الله تعالى (فما استطاعوا مُضيّاً ولا يرجعون) ص١٠٢ [سورة يس: آية ٦٧]. وتقول قد " تأذيت بالدُّخَان بتخفيف الخاء قال الله تعالى: "يَوْمَ تأتي السماء بدُخان مبين" ص١٠٩ [سورة الدخان: آية ١٠٥].

- **الخطأ في استعمال بعض الحروف الجارّة:**

- وتقول: شكرت لك، نصحت لك، ولا يقال شكرتك ونصحتك وقد نصح فلان لفلان وشكر له هذا كلام العرب، قال الله تعالى: "اشكر لي ولِوالديك"[سورة لقمان: آية ١٤]." واشكروا لـــي ولا تكفرون" ص١٠٢ [سورة البقرة: آية ١٥٢].

- **الخطأ في زيادة الحروف:**

وتقول: قد أريت فلاناً موضع زيد بغير واو، ولا يقال أوْرَيت، قال الله تعالى: ولقد أرَيْنَاه آياتنا كلَّها"[سورة طه: آية ٥٦]

وتقول: "قد شَغَلَني فلانٌ عن عملي وشغلتُه، بغير ألف قال الله تعالى: "شَغَلَتْنَا أموالُنا وأهلُونا" ص ١١٠ [سورة الفتح:آية ١١] و" تقول غَثَتْ نفسي ولا يُقال: غَثِيَتْ بالياء. ص١٢١.

- **الخطأ في زيادة الهاء:**

وتقول: هذه أتان، للأنثى من الحمير، بغير هاء، فإذا كانت ثلاثاً قلت: ثلاث آتن بمد الألف فإذا زادت قلت هي الأُتُن مثل الصُّحُف والرُّسل، قال الشاعر:

فأَشْهَدُ أَنّ رِحَمكَ من زيـــادٍ كَرِحْمِ الفيـــل من ولد الأَتـــانِ ص ١٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **الخطأ في القياس:**

تقول أغلقت الباب فهو مُغْلَق، ولا يقال: مغلوق، قال حاتم الطائي:

ولا أقول لِقِدْر القوم قد غلِيَت ولا أقول لبـــاب الدّار مغـــلوق

لكن أقول غَلَت للقوم قِدْرُهُم والباب مُغْلق أو فالباب مصفوق

- **الخطأ في إبدال الحروف:**

ويقال: قصّ الشاة وقَصَصُها بالصاد، ولا يقال بالسين والقَسّ بالسين هو قَسّ النصارى.

- **الخطأ في التعبير (أي في الدلالة للمعنى المطلوب):**

وتقول: مشيت حتى أعْيَيْت بالألف، ولا تقول عَيِيت، إنما يقال في الأمر الذي ينسد عليك، فيقال فلان عَيِيٌّ بأمره من العِيْ.

- **الخطأ في القياس (على الأقل أو الشاذ):**

ويقول: عندي دقيق سَميذ بالياء لأنه على فعيل، ولا يقال سَمِذ لأنه فَعِل وليس في كلام العرب فَعِل إلا القليل ص ١٣١.

- **الخطأ في الجمع والتثنية:**(التدليل على طريقة الجمع)

يقال سبت وسبتان وأسْبُت "[١].

(١) الكسائي: أبو الحسن علي بن حمزة ت (١٨٩هـ) ما تلحن فيه العامة، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، دار الرفاعي بالرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن من يتأمل هذه الأخطاء التي عدّها الكسائي مما تلحن فيه العامة يجد فيها تغييراً في اللسان العربي، ويَلحظ أن الأخطاء المشار إليها ليست في الإعراب الذي هو سر العربيّة، بل كانت أخطاءً لفظية أو حركية أو زيادة أو حذف حرف. وهذه اللفتات نجدها في لهجاتنا أيضاً[١].

ومن ينظر في مقدمة ابن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) " يَجْد فيها حديثاً عن "اضطراب كلام العرب، فغلبت السليقيّة ولم تكن نحوية" كما سمّاها "فكان سَرَاة الناس يلحنون ووجوه الناس فوُضع باب الفاعل والمفعول به والمضاف، وحروف الرفع والنصب والجزم". بعد أن قال "أول من أسس العربية، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها: أبو الأسود الدؤلي..."[٢].

إن هذه السليقة غير النحوية التي أشار إليها الجمحي تمثلت في لحن الحركات للكلمة الواحدة، واختلاف القبائل في تحريك بعض الألفاظ تحريكاً واحداً، وأعطى مثالاً ذلك هي الدُّئِل والدّيل والدُّئِل واللحن أيضاً في حركات الإعراب، فهم يجعلون الفاعل في موضع المفعول، ولا يعلمون موضع الجزم والرفع والنصب، أي لا يراعون الحركة المناسبة في ذلك الموضع (ولا يتركون حركة الإعراب).

أباح الجاحظ اللحن في النوادر، يقول "إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام، ومُلْحَة من مُلَح الحُشو، والطّغام(العوام)، فإياك أن تستعمل فيها الإعراب، أو أن تتخيّر لها لفظاً حسناً أو تجعل

---

(١) يوجد نزعتان متعارضتان في مصنفات اللحن:

١- نزعة التشدد في المقياس الصوابي واختيار الفصيح وحده.

٢- نزعة التوسّع في المقياس، والتخفف من التخطئة بقبول ما جاء عن العرب من غير تدقيق في درجة الاحتجاج بها. توثيقه: محمد أحمد قدور العربية الفصحى ومشكلة التطور، مرجع سابق، ص٢٩.

(٢) محمد بن سلام الجمحي ت(٢٣١) طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر السفر الأول، دار المدني، بجدة، ص ١٢، سَرَاة الناس: أهل الشرف والسخاء والمروءة وكأن لحن العامة قد أثر في ألسنتهم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لها من فيك مخرجاً سريّاً، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها، ويخرجها من صورتها، ومن الذي أريدت له ويذهب باستطابتهم لها واستملاحهم إياها"[١].

ولعلنا نفهم ترك الإعراب الذي عدّه الجاحظ لحناً بهذه النادرة يقول: "إنه خرج مع النظام ليلة فألم على النظام كلب من كلاب الرعاة فثبت له ولم يجزع، وأقبل على الجاحظ فقال: إن كنت "سبع" فاذهب مع السباع إلى آخر حديثه فعلّق الجاحظ: ولم تنكر أيها القارئ على حكايتي بقول ملحون مذ قلت إن كنت سبع، ولم أقل سبعاً، ثم فسّر: إن الإعراب يفسد نوادر المولّدين كما أن اللحن يفسد كلام الأعراب"[٢].

على أنَّ فهمنا للإعراب هنا ينبغي أن يكون فهماً مختلفاً فهو لا يعني تركه كاملاً فهو "فصيح ملحون" وهو ما يسميّه بلغة المولدّين، فهو يعرب ثم يسكن ما كان منصوباً أو غيره مثلما رأينا في هذه النادرة، فترك الإعراب كاملاً في الجملة، لم يكن من معالم ذلك اللحن في النوادر عنده، وانظر باب اللحن في كتابه "البيان والتبيين" للتأكد من ذلك. (مع أن الوقوف بالتسكين وارد عن العرب).

وهو كذلك يستحسن اللحن من الجواري الظراف، ومن الكواعب النواهد، ومن الشواب الملاح... ما لم تكن الجارية صاحبة تكلّف، ولكن إذا كانت سجية لسكان البلد[٣]. ولعل استظرافه لعذاب اللخن منهن أنهن جوار من غير العرب، متأثرات بأساليب مختلفة للغة فينطقن الحروف غير النطق العربي، أو لتركيبه غير المألوف لما هو غير موجود أو مألوف في أساليب وتراكيب العربي.

---

(١) الجاحظ: البيان والتبين، مرجع سابق، ص ١٣٨-١٣٩.

(٢) نقلاً عن عبد القادر المغربي، السليقية في الكلام، مرجع سابق، ص ٨١.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص ١٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أنه قد أشار إلى أنَّ اللحن قد فشا في المدينة لاتساع الدولة، فبدأ تعلّم النحو ولم يعد سليقة "واللحن في عوامِّهم فاشٍ، وعلى من لم ينظر في النحو مِنْهُمْ غالب"(١).

كما أشار الجاحظ إلى فكرة ربما نردها إلى فكرة التطعيم، وهي تطعيم الفصيحة بالعاميّة أو بالأعجمية كالذي نشهده الآن في عصرنا الحاضر، يقول الجاحظ: "وقد يتملّح (الأعرابي) بأن يدخل في شعره شيئاً من كلام الفارسية، كقول العُماني للرشيد في قصيدته التي امتدحه فيها فاستملحها الرشيد الذي يكره اللّحن:

مَنْ يَلْقَه مِنْ بطل مُسْرَندِ في زَغْفَةٍ مُحْكَمةٍ بالسَّرْدِ

تجولُ بَيْنَ رأسِه والكَرْد" (٢)

وبعد أن "كان الناس قديماً يجتنبون اللحن، فيما يكتبونه أو يقرأونه، اجتنابهم بعض الذنوب، أما الآن فقد تجوزا حتى إن المحدّثَ يحدّث فيلحن والفقيه يؤلف فيلحن، فإذا نُبِّها قالا: ما ندري ما الإعراب وإنما نحن محدثون وفقهاء فهما يُسَرَّان بما يساء به اللبيب"(٣) وهذا ما لمسه ابن فارس الذي أحسّ بأن السياق الوظيفي (التخصصي) وأثره في اللحن، وفيه إشارات عن اختلاف لغة الكتابة عن الكلام المحكي، وهذا هو التجويز في اللحن عند أصحاب المهن، وكأنما اللغة مقتصرة على علماء العربية دون الآخرين!

إن هذه المشاهد تجلّى فيها بذور ترك الإعراب الذي يعد جهاز العربية القائمة عليه.

جاء في مقدمة تقويم اللسان لابن الجوزي قوله: " إني رأيت كثيراً من المنتسبين إلى العلم يتكلمون بكلام العوام المرذول جرياً منهم على العادة، وبعداً عن علم العربية، ورأيت بيان

---

(١) الجاحظ: البيان والتبين، ج١، ص ١٤٦.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص١٤١ – ١٤٢.

مُسرند: الذي يغلب ويعلو، الزّغفة: الدرع اللينة الواسعة المحكمة، الكرد أصله في الفارسية كردن، الكرد: العنق.

(٣) ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، ص٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصواب في كلامهم مبدداً في كتب أهل اللغة، وجمعه يثقل المتكاسل في طلب العلم، فقد أفرد قوم ما يلحن فيه العوام، فمنهم من قصر، ومنهم من ردّ ما لا يصلح ردّه، فرأيت أن أنتخب من صالح ذلك ما تعمّ به البلوى دون ما يَشِذ استعماله، ويندر، وأرفض من الغلط ما لا يكاد يخفى"(١).

لكن النقلة التي تغيرت فيها اللغة تغيراً جلياً، وبتوثيق كتابي يصور حال اللغة العربية هي فترة المماليك والأتراك (٦٥٦هـ ١٢٥٨م) فبعد سقوط الدولة العباسية ملك زمام الأمور والحكم الأعاجم فأصبح اللحن مغفوراً، والنطق بالعربية عيباً، والتفاخر بلغة الآخرين موضع تنافس يقول ابن منظور (ت ٧١١هـ): " فإنني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية، وضبط فضلها، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز، والسنة النبوية، ولأن العالم بغوامضها يعلم ما توافق فيه النية واللسان، ويخالف فيه الإنسان والبيئة، وذلك بما رأيته قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان (الأعاجم) حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يعد لحناً مردوداً، وصار النطق بالعربية معدوداً، وتنافس الناس في تصانيف الترجمانات في اللغة الأدبية، وتفاصحوا في غير اللغة العربية، فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون، وصنعته كما صنع نوح الفلك، وقومه منه يسخرون، وسميته لسان العرب"(٢).

جاء التحول أيضاً في الثلث الأخير من هذا العصر "المماليك" وهو التحول اللغوي الذي أشار إليه ابن خلدون من قبل في مقدمته "إننا نجد هذه اللغة في بيان المقاصد، والوفاء بالدلالة على سنن اللسان المضري (يقصد اللغة العربية الفصحى وهي لغة مضر)، ولم يفقد منها إلا

---

(١) ابن الجوزي أبو عبدالرحمن(ت٥٩٧): تقويم اللسان، تحقيق: عبدالعزيز مطر، دار المعرفة،ص٧٣-٤-٧٤.

(٢) ابن منظور الإفريقي أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١هـ): لسان العرب، مج١، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٢، المقدمة، ص٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دلالة الحركات على تعيين الفاعل، من المفعول فاعتاضوا عنها بالتقديم والتأخير، وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد... وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب (يقصد البدو) ومذهبهم لهذا العهد لا تلتفتنّ في ذلك إلى حرفشة النحاة أهل صناعة الإعراب، القاصرة مداركهم عن التحقيق، حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت، وأن اللسان العربي فسد اعتباراً بما وقع في أواخر الكلم من فساد الإعراب، الذي يتدارسون قوانينه، وهي مقالة دسّها التّشيع في طباعهم، وألقاها القصور في أفئدتهم، وإلاّ فنحن نجد اليوم الكثير من ألفاظ العرب لم تزل في موضوعاتها الأولى، والتعبير عن المقاصد، والتفاوت فيه بتفاوت الإبانة موجودة في كلامهم، لهذا العهد، وأساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة في مخاطبتهم، ولم يفقد من أحوال اللسان المدوّن إلا حركات الإعراب في أواخر الكلم"[١].

إن ترك حركات الإعراب هو السبب الذي أودى بالعربية إلى الازدواجية اللغوية، وهي السمة التي حافظت عليها العربية قديماً.

وما يؤكدّ هذه الازدواجية ويعلن عن مشهدها ما أورده القلقشندي (ت٨٢١): "واعلم أن اللحن قد فشا في الناس، والألسنة قد تغيرت حتى صار التكلّم بالإعراب عياً، والنطق بالكلام الفصيح جهلاً، قلت: والذي يقتضيه حال الزمان، والجري على منهاج الناس أن يحافظ على الإعراب في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية في الشعر، والكلام المسجوع، وما يدوّن من الكلام، ويكتب من المراسلات، ونحوها، ويغتفر اللحن في الكلام الشائع بين الناس، الدائر على

(١) نقلاً عن علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الخامسة، ص١٥٥– ١٥٦، وانظرمقدمة ابن خلدون، ج٤، ص ١٣٩–٣٩١. ونقلته لشرح د. وافي له.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألسنتهم، مما يتداولونه بينهم ويتحاورون به في مخاطباتهم، وعلى ذلك جرت سنة الناس مذ فسدت الألسنة وتغيرت اللغة"[١].

وهذا المشهد خاصةً تتجلّى فيه أبعاد الازدواجية اللغوية التي أفضت إلى وجود مستويين لغويين من فصيح معرب مكتوب، وآخر عامي منطوق غير مدوّن.

ثم تتوالى الغزوات على بلاد العرب ولغتهم بعد استيلاء المغول والعثمانيين على الشام ومصر والعراق فقد "أغاروا على خزائن دور العلم وبدائع الآثار فنقلوا كثيراً منها إلى القسطنطينية كما نقلوا كثيراً من العلماء والصناع وأرسلوا بهم إليها ليخربوا هنا ويعمروا هناك، ومما أخمل سوق الفكر والأدب أن اللغة التركية صارت لغة رسمية للبلاد العربية، وصارت لغة التخاطب بين الناس خليطاً من العامية العربية والتركية"[٢] فعمّ الجهل والأمية حتى "كان عدد من أساتذة العربية من المشايخ الأتراك القادمين من الأناضول يدرسون النحو باللغة التركية"[٣]

كانت العربية تتدهور، وتغرق في مستنقع موحل من الجهلِ والأمية والغزو الفكري، وهذه الحال تزيد بتوالي الغزو على أهلها ولغتهم، يقول ابن حزم (٤٥٦هـ) "لأن اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها، ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو بنقلهم عن ديارهم، واختلاطهم بغيرهم، فإنما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم، وأما من تَلِفَتْ

---

(١) أحمد بن علي القلقشندي (ت٨٢١هـ): صبح الأعشى، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ج١، ص ٢١١ تحت عنوان "في بيان ما يحتاج إليه الكاتب من الأمور العلمية...".

(٢) ذو النون المصري الجمل ومحمد منير مرسي وآخرون، المنتخب في عصور الأدب، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧، ج٢، ص ٩.

(٣) محمود حسني: ظاهرة الازدواجية في العربية بين الماضي والحاضر، في كتاب ندوة الازدواجية في اللغة العربية، مجمع اللغة العربية الأردني، الجامعة الأردنية، ٢٢-٢٤ شعبان ١٤٠٧-١-٢٣٢ نيسان ١٩٨٧، ص ١٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دولتهم وغلب عليهم عدوّهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم فمضمون منهم موت الخاطر، وربما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم، وأخبارهم، وعلومهم وهذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة"[١].

(١) ابن حزم الظاهري: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت(٤٥٦)، الإحكام في أصول الأحكام، مج١، بإشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٧٩م، ص٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجدل حَوْل تقديم العامية على الفصحى

قامت النهضة العربية الحديثة في آواخر القرن التاسع عشر بعد عصور الانحطاط والتردي المتتالية على البلاد العربية فأخذ الوعي العربي بالتنبيه على هذه القضية فبرزت القضية اللغوية وانبرى الدارسون الأجانب للتدخل في هذه القضية حتى إنهم كانوا من المبادرين في تأليف المصنفات الداعية إلى وجود حلول لغوية.

فأخذ الكلام عن الفصحى والعامية (الدارجة) موقعه من الجدل القائم فمنهم من أيد الدعوة للعامية (وهم الأجانب) ومنهم من دعا إلى الفصحى، فانقسمت الجهود إلى تيارين: دعاة للعامية ودعاة للفصحى وكان الاتجاه الثاني رداً على الاتجاه الأول.

وقد كانت بداية هذا الجدل في مصر(*)، ففيها نهض دعاة العامية من الأجانب أمثال شبيتا (Spitta) وفولرس (K.Vollers) وولكوكس (Willcooks) وولمور (Willmare) (وقد كانوا من أهل العلم والمعرفة والمناصب العليا) فاتخذوا الكتب وتأليفها وسيلة لنشر اتجاهاتهم وآرائهم ورؤاهم متخذين الصحف المحلية منابر لترويج هذه الدعوة، رافعين شأنها بمسوغات وعلل، وما وضعوه من تشجيع وجوائز للكتابة بالعامية، فأخذت الصحف مثل المقتطف، والهلال، والمؤيد، والأزهر، والمشرق تتلقى هذه الدعوات وتطرحها للقرّاء وتمّ من خلالها عمليات الرد على هذه الدعاوى بكل ما فيها من تعدّ على الفصحى، ووحدة أهلها، ونشر الإقليمية ونزعتها.

فالدعوة لم تكن مقترنة بالعامية اللهجيّة حَسْبُ بل تعدّتها إلى الأدب الشعبي، والكتابة بالحروف اللاتينية، واتهام العربية بالجمود والصعوبة، ولا سيما في نحوها، كما اتهموا العرب

(*) وسيتم توثيقه بعد هذه المقدمة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأنهم متخلّفون نتيجة استعمالهم الفصحى (التي لا تربط بين اللغة العربية واللغة العلمية) وأن سبب الجمود كامن في هذه اللغة التي يحملون لها قدسية عظيمة.

فقاموا بتهويل صعوبة العربية، وأن الوقت يضيع في تعلمها كما أثنوا على خصائص العامية، وما تمتاز به عن الفصحى، فاختلفت الأساليب المتبعة لذلك وتحدّد الهدف.

وقد تركوا باقي المحاولات إلى العرب أنفسهم يقدمون آراءَهم ويبنونها على سابق دعوة لإحلال العامية، فهذه وسيلة من الوسائل التشكيكية في اللغة العربية، وقد تَتَبّعناها بالردود العربية مؤيّدة أو معارضة، فتتابعت الدراسات والبحوث من أهل العربية إما بتمصير اللغة، مثلما دعا أحمد لطفي السيد الذي طالب بنشر الألفاظ الأجنبية للمخترعات، لأن العربية غير قادرة على اتخاذ المسمّيات للأشياء الجديدة، وتابعه في ذلك سلامة موسى الذي دعا إلى التجديد في الأدب وامتثال العامية، وسار على طريقه لويس عوض، ومارون غصن اللبناني، وسعيد عقل الذي نادى باستخدام الحروف اللاتينية. كما دعا من قبله عبد العزيز فهمي وكذلك أنيس فريحة وغيرهم، وقد قمنا بإيراد الردود على هذه الدعاوى.

ثم عرضنا لبعض دعاوي العامية مقصودة كانت أم تسهيلاً أم قيامها على بدعة الإصلاح. كما كان لنا نظرة في هذه الدعوة إلى العامية.

ولكن ما الذي يجعلنا نعدّ هذه القضية مشكلة تبتغي الدرس والمساءلة والتتبّع؟

والجواب لا يخفى على أحد، لأن وجود هذه العامية والمناداة بها لغة وكتابة، جاءت بدوافع وتحركات أجنبية، وكانت البحوث في بدايتها تثير الخوف والقلق والشك، فهي دعوة لا ترمي إلى العامية ودراستها حسب، بل كانت على نية إحلالها كتابة ولغة محل العربية الفصيحة فلم يكن الدرس العامي مستقلاً عن الدرس اللغوي الواجب تمثله كما في آرائهم، وتتابعت الخطورة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من العرب أنفسهم فقد تبنوها وأخذوا فيها بمأخذ وزادوا، متمثلين بمن سبقهم وكل هذا لأجل تفتيت الوحدة العربية وخاصة في لغتها.

لأجل هذه الأسباب تتبعنا هذه القضية العامية الضاربة في أواخر القرن التاسع عشر بحديها الموقف الأجنبي والموقف العربي وما كان بينهما من توافق أو تشابه أو اختلاف أو تباين أو زيادة. وأردنا تسجيل هذه الدعوة التي جرت أحداثها على الساحة العربية.

فلم يعد الأمر طبيعياً وسليقياً بل بات سلوكاً ناتجاً عن تتابع الاستعمار.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلهام شبيتا (Wilhelm spitta) (مدير الكتب المصرية)

وقد كان من السباقين إلى هذه الدعوة ولهلم سبيتا عندما دعا إلى اللغة العامية وإلى الكتابة بالحروف اللاتينية في كتابه " قواعد العربية العامية في مصر" الذي كتب بالألمانية عام ١٨٨٠.

كان يدعو إلى العامية بمقدمات تؤهله للوصول إلى دعوته، وذلك لأنه (أدرك) الصعوبات التي واجهها عند دراسته لعامية مصر، وهي تكمن في أنّ العامية لم تجد سوى بعض المجلات الهزلية والمسرحيات وصعوبة التركيب العامي وعدم استقراره خاصة في القصص والفكاهات والأمثال والمواويل (١) (*).

"ففي مثل تلك الظروف (أي وجود الاختلاف الواسع بين لغة الحديث ولغة الكتابة) لا يمكن مطلقاً التفكير في ثقافة شعبية، إذ كيف يمكن في فترة التعليم الابتدائي القصير أن يحصل المرء حتى على نصف معرفة بلغة صعبة جداً كاللغة العربية الفصحى، بينما يعاني الشباب في المدارس الثانوية عذاب دراستها خلال سنوات عدة دون أن يصلوا إلى شيء، اللهم إلا نتائج لا ترضى بتاتاً ".

---

(١) انظر مع بعض التصرف من كتاب: نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار نشر الثقافة بالإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٦٤، ص ١٨-٢٣.

(*) تقول نفوسة زكريا في هامش ص٢٠ من الكتاب السابق: كما أنها كانت تكتب أحياناً وفق نطقه هو لا وفق نطق العامة مثل قوله (لسه مش خلاص).

كما أورد محمود العطار في مقاله بعنوان: افتراءات استشراقية على اللغة العربية، في مجلة الفيصل، مج ٢٦، ع٣٠٦، ص٣٧: " قام أحد من الأجانب بتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها في أحد المعاهد اللغوية الأجنبية بالقاهرة فكان أكثر ما شد الانتباه هو أنه لا يتم تدريس المبتدأ أو الخبر على أساسهما النحوي الصحيح ولكنهما يتحولان إلى صفة وموصوف والمسوغ لهذا بزعم واضعي المنهج أن الأجنبي لا يسهل عليه استيعاب فكرة المبتدأ و الخبر لعدم وجودهما في لغته الأصلية فتكون الاستعاضة عنها بقاعدة الصفة والموصوف التي يعيها جيداً من خلال لغته" ومن جانب آخر يمكننا أن نضيف: ومن خلال رؤيته وتصوره للأشياء... .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما تناول الكتابة بالحروف العربية ووصفها بالعقم وأنها غريبة غرابة اللاتينية بالنسبة إلى الإيطاليين، وأن اللغة المكتوبة خي اللغة الوسطى أي لغة الدواوين وأن الوحدة بين الشعوب الإسلامية لا يقلقها تخاذ العامية إذ إن لغة الطقوس الدينيّة ستبقى كما هي[١].

أما بقية كتابه فقد قسمه إلى أربعة أقسام (تطبيقية عملية): في طريقة نطق الحروف العربية وأجزاء الكلام وتركيب الجمل والنصوص (أمثال وفكاهات)[٢]

دعوة كارل فولرس الألماني (K.Vollers)

نهض مستشرق آخر يدعى كارل فولرس في كتابه "اللهجة العربية الحديثة في مصر" (١٨٩٠) الذي دعا فيه إلى استنباط الحروف اللاتينية لكتابة العامية وقد قال بوجوب دراستها لأنها لهجات لها أصولها التاريخية، لذلك فهي لا تعد تدهوراً أو انحطاطاً.

وتكلم عن اللهجة المصرية الحديثة، وقسّمها إلى ثلاثة أقسام: لهجة الفلاحين والبدو وأهل المدن[٣]

دعوة وليام ولكوكس (William willcooks) مهندس الري الإنجليزي

زعم وليام ولكوكس في كلمة ألقاها في نادي الأزبكية بالقاهرة (١٨٩٣) أن الفصحى سبب تخلّف المصريين إذ ذاك عن الابتكار والاختراع، وقد جعل عنوان كلمته تلك "لِمَ لَمْ توجد قوة الاختراع لدى المصريين"، ونصحهم باتخاذ اللغة العامية أداة للتعبير الأدبي اقتداء بالأمم الأخرى، واستشهد بالإنكليزية، وقال: إنها أفادت فائدة كبيرة منذ هجرت اللاتينية التي كانت لغة

---

(١) انظر نفوسة زكريا: تاريخ الدعوة إلى العامية مرجع سابق، ص١٨-٢٣.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص٢٢-٢٣ لم أجد المراجع الأصلية التي اعتمدت عليها نفوسة زكريا.

(٣) انظر نفوسة زكريا: تاريخ الدعوة إلى العامية، مرجع سابق، ص٢٤-٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكتابة والعلم يوماً ما"[١]، وأن المصريين ليسوا عرباً ولغتهم ليست عربية في كتابه Syria, Egypt, North Africa and Malta speak ponc not Arabic أي سوريا ومصر وشمال إفريقيا ومالطه تتكلم البونية لا العربية، وقد نشره سنة (١٩٢٦)[٢].

وقد تختلف المسميات لمسمّى واحد، لكن الرابطة الجامعة لهذه الدراسات الأجنبية واحدة تتمثل في إحلال العامية مكان الفصحى لغة للكتابة فمنهم من دعاها بالعامية، وغيره بالعربية الحديثة، في مصر، إلى أن جاء سِلْدن وِلْمور (Sell don willmare) القاضي الإنجليزي في محكمة الاستئناف المختلطة بكتاب وسمه بعنوان: "العربية المحكية في مصر ١٩٠١ " مقترحاً فيه على أبناء العرب أمرين:

الأول: أن يتخذوا الحروف الإفرنجية لكتابة الكلام العربي بدلاً من الحروف العربية، وذلك لضبط اللفظ في الكلمات المتشابهة.

الثاني: استعمال اللغة العامية في الكتابة بدلاً من اللغة الفصحى، وحجّته في هذا الطلب أن الرّجل الإفرنجي يصرف سنوات في دَرْس اللغة العربية، ثم هو لا يفهم اللغة التي يكتب بها كتابتها اليوم، ولا اللغة التي يتكلم بها قومها، وفضلاً عن ذلك فإن الذين يفهمون لغة الكتابة اليوم من المصريين لا يتجاوزون (12 في المائة) من السكان وأما باقي السكان (88 بالمائة) فإنهم لا يتعلمون لغة الكتابة ولذا وجب تذليل هذه العقبات في طريق تعليمهم[٣].

وتوالي هذه الدراسات ودعواتها وإصرارها يعني أن الغاية لم تتحقّق عملياً ما يدعون إليه، لذلك جاء كتاب "المقتضب في عربية مصر" لفيلوت باول (D.Cphillot. A. powell) سنة

---

(١) نقلاً عن كاصد الزيدي: فقه اللغة العربية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٩٨٧، ص٣٥٨.

(٢) انظر كاصد الزيدي: فقه اللغة العربية، مرجع سابق، ص ٣٥٨-٣٥٩.

(٣) نقلاً عن: محمد أديب السلاوي، في مقال بعنوان الصراع بين الفصحى والعامية، مجلة اللسان العربي، ج٣، ١٩٦٦، ص٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٩٢٦ مؤيداً باثنين أحدهما قاض، والآخر أستاذ للغات الشرقية. وقد قسّما الكتاب إلى مفـــردات مذكورة بالعامية المصرية العربية، ثم المفردات مكتوبة بـــأحرف لاتينيّـــة مـــع ترجمـــة لهـــا بالإنجليزية مثل "زيطة Noise Zayta" (Zeetah).

وقسم ثالث للجمل (المبتذلة الشعبية) كتبت بالطريقة السابقة نفسها، وقسّم للنصوص: من فكاهات ومحاورات وغيرها لتسهيل العامية المصرية كتابة[١].

نقاشات وردود:

تقدم في كلامنا السابق الحديث عن الدعوة إلى العامية، وما ادّعاه كل مؤلف وكل داعٍ مؤيداً نفسه بالحجج والأدلة وقد اتخذها كل منهم وسيلة لتحقيق هدفه العامي. واشترك في هذه الدعاوي العامية من لهم نصيب من المناصب علمية كانت أو حكومية أو قضائية، وكما تناول هذه القضية مهندسون، مما يعني أن الذين دعوا إلى ذلك هم من خاصة القوم لا من العامة!

ومن هنا بدأ النقاش بين تبني الفصحى وتبني العامية، بين المؤيديين والمعارضين، فكان من نتيجة ذلك ردود أكثرها ظهر في الصحف والمجلات المصرية، وهذا يدلّ على بداية الوعي الفعلي لقضية الفصحى والعامية.

بدأ هذا النقاش بظهور كتاب سبيتا الذي عرضنا له من قبل " قواعد العربية العامية في مصر (١٨٨٠) الذي دعا إلى اتخاذ العامية لغة أدبية مكتوبة. كما دعا إلى اعتماد الحروف اللاتينية فالكتابة العربية وقد استجابت له مجلة المقتطف في السنة التالية لمقترحاته ذاكرةً ما قاله، ولكنها لم تذكر سبيتا، وكأن الأمر من المصريين، لشعورهم بعجز العربية عن مواصلة الأغراض الأدبية والعلمية. وأن الاختلاف بين لغة الحديث والكتابة هو سبب تأخر العرب

(1) انظر نفوسة زكريا: تاريخ الدعوة إلى العامية، مرجع سابق، ص ٣٠-٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مستشهدين بأن لغة الإفرنج العلمية المكتوبة لا تختلف عن اللغة المتكلم بها، أما العرب فالبعد بين اللغة العامية واللغة المكتوبة بعيدٌ بُعْدَ الفرنساوية عن الإنجليزية أو اللاتينية عن الإيطالية، ونصح بضبط العامية امتثالاً بالأمم الأوروبية"(١).

وكان ممن لبّى نداء هذه الدعوة أسعد داغر وآخر سمّى نفسه بالممكن.

وكان من المعارضين لهذه الدعوة خليل اليازجي والجمعية الأدبية الدمشقية.

وكان ردّ اليازجي في معارضته للعامية أن:

أولاً: اتخاذ العامية في الكتابه شيء فيه هدم للكتب العربية وأتعاب السابقين وتكلّفهم في المستقبل.

ثانياً: عدم إمكانية الاعتماد على اللهجات لأنها مختلفة ومتعددة... (٢).

وكان من مؤيدي فكرة المقتطف كاتب سمّى نفسه بـــ "الممكن" احتياطاً لنفسه من الرأي الغالب، وقد كانت حججه للكتابة بالعامية تقف رداً على اليازجي. (٣)

وقد تناول كتاب (سبيتا) ومقالة المقتطف محمود محمد شاكر في كتابه "أباطيل وأسمار" وردّ كل هذه الدعاوي إلى التبشير ومسمّياته، يقول:

إنه لا يجدُ هذا الأمر عجيباً من ألماني أعجمي اللسان مقيم في دار الكتب، وعربي مقيم في بيروت، حيث فيها مؤسسة تبشيرية وهي (الجامعة الأمريكية) وهذا دليل حال الرجلين أنهما بدءا التبشير في الشام ومصر، فالأمر كان مبيتاً مدروساً قد طال الإعداد له.

---

(١) المقتطف، باب التقريظ والانتقاد، مج ٢٧، ج٢، انظر ص١٨٧ – ١٨٩.

(٢) اليازجي: انظر تحت عنوان اللغة العربية والنجاح، مجلة المقتطف، ج٧، السنة السادسة، ١٨٨١، ص٤٠٤.

(٣) انظر المقتطف (باب المناظرة والمراسلة) انظر تحت عنوان: مستقبل اللغة العربية، مجلة المقتطف ج٨، السنة السادسة، ١٨٨٢، ص٤٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأشار إلى أن هذا الأمر لم يكن إرادة الفتنة مرة واحدة علانية بل كان يراد أن يكون في أضيق الحدود، وخبر ذلك أن سبيتا كتب كتابه بالألمانية في مصر، ومن يعرف الألمانية قليل، إذن فالغاية منه محدودة بعدد قليل كأنهم وحدهم هم المخاطبون، فمن يطلع عليه يجد أنه وقع على خِبئ مكنوز وفي هذا ما دعا سبيتا إليه راحماً الشباب من تعلم الفصحى... [١].

ثم تابع كلامه متحدثاً ورادّاً على المقتطف متعجباً من موقفها كاشفاً ألاعيب الطبع في مكان دون آخر في تلك المقالات التي جاءت بعنوان " اللغة والنجاح ورد خليل اليازجي وتعقيب المتنكر تحت اسم الممكن[٢]، قائلاً:

كما لقي ولكوكس معارضات من قبل إبراهيم مصطفى ناظر دار العلوم، وصاحب مجلة الأزهر، وأحمد سلمان المهندس بتنظيم المحروسة وغيرهم، وكانت أهمها معارضة إبراهيم مصطفى الذي دعّم قوله بتعداد مزايا الفصحى عن طريق تتبّع اللغات وتطورها، ثم قارن العربية باللغات الاشتقاقية وقام بمناقشة الحجج التي اعتمد عليها دعاة العامية، ثم أخذ يشير إلى أساليب الإنجليز في مقاومة تحريف عوامهم، وذلك بما يلقونه في الأندية العامة والمجامع الأدبية والعلمية، وما يمثل من روايات بالفصيح، لتعتاد آذان العامة على الفصيح فتصحح به أساليب العامية، كما أنّ انجلترا جعلت التعليم بلغتها دون غيرها [٣].

---

(١) محمود محمد شاكر: أباطيل وأسمار، ج١، ٢، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٢، ص١٩١-١٩٢. يؤكد هذا الرأي لمحمود شاكر قول ولكوكس "وحيث أن قراء جريدة الأزهر الرياضية كانوا في مبدأ نشأتها قليلين فكان لا يطبع منها إلا كمية قليلة تناسب القراء ولكنهم بعد ذلك كثروا... فرأيت من الواجب رصد تلك الأفكار ثانية بهذا العدد" نفوسة زكريا، تاريخ الدعوة إلى العامية، مرجع سابق، ص١٠٩.

(٢) محمود محمد شاكر: أباطيل وأسمار، مرجع سابق، انظر ص ١٩١ - ١٩٤.

(٣) انظر نفوسة زكريا: تاريخ الدعوة إلى العامية، ص ١٠١-١٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومع تلك الردود لا يخلو الأمر من مؤيّدين لولكوكس، مثل سلامة موسى في مقالته التي نشرها في مجلة الهلال بعنوان " اللغة الفصحى واللغة العامية ورأي السيد ولكوكس"[١] فقد أثنى عليه لأنه جعل همومه مصرية يفكر فيها وبمصالحها، وهذا هو همه ولا سيما في لغتها.

صدى كتاب ولمور "العربية المحكية في مصر"

مع صدور هذا الكتاب اشتد الحديث حول الفصحى والعامية، وقد نوّهت إلى ذلك المقتطف مشيرة إلى تزامن هذه الدعوة مع الحركة الوطنية، ومع البعث الثقافي، فنشطت الألسنة وكثر اللجاج في شأن العامية والفصحى" فهي تذكر ولمور وتشيد به قائلة: " وليس من الإنصاف أن يبخس المستر ولمور حقه، فإنه تعب في ضبط لغة القاهرة تعب سيبويه في ضبط لغات العرب، ووضع في ذلك كتاباً فيه نحو أربعمائة صفحة مشحونة بالفوائد، وغرضه من أشرف الأغراض وأنبلها.. [٢]". لكنها تعترف مع ذلك بأن العربية الفصحى هي الغالبة في الكتابة...

لكن الأمر في مناقشة الفصحى والعامية تعدّى مجلة المقتطف إلى مجلة الهلال في هذه القضية فقالت " هم يشيرون علينا أن نتخذ العامية بدلاً من الفصحى في الكتابة، فأي العاميات يريدون أن نتخذ عامية مصر أم عامية الشام أم عامية العراق... فإن لكل من هذه البلاد عامية خاصة لا يفهمها عامّة البلاد الأخرى، فإن قالوا لغة مشتركة بين هذه اللغات، قلنا إن اللغة لا تتألف بالتواطؤ، وإنما هي جسم ينمو نمواً طبيعياً على مقتضى ناموس الارتقاء، فإن قالوا: إن

---

(١) انظر سلامة موسى: اللغة الفصحى واللغة العربية ورأي السيد ولكوكس، مجلة الهلال، ج ١٠، السنة ٣٤ يوليو تموز، ١٩٢٦، ص١٠٧٣.

(٢) المقتطف: باب التقريظ والانتقاد، مرجع سابق، ص١٨٧-١٩٠.

(*) يقول محمد محمود شاكر في كتابه أباطيل وأسمار ص ١٦٩: " وينبغي لكل عاقل أن يقف قليلاً عند ذكر محرر المقتطف وكثيراً ما قلنا للأوروبيين قبل أن يتظاهر المقتطف في سنة ١٨٨١ مغفلاً ذكره وكأنه لم يكتب شيئاً وكأن سبيتا بعيد الدار لا يستطيع محرر المقتطف أن يلقاه بدار الكتب".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكل أمة من هؤلاء لغتها فالسوري يكتب بلغة عامية الشام والمصري بلغة عامية مصر، كان ذلك رأي القائلين بانحلال العالم العربي وتشتيت شمل الناطقين بالضاد، زد على ذلك أن المسلمين لا يستغنون عن تعلم اللغة الفصحى لمطالعة القرآن والحديث"(١).

وكذلك واجهت جريدة المؤيد ما دعا إليه ولمور قائلة :"إن مسألة اللغة العربية هي مسألة الدين الإسلامي بعينه فإذا فرَّط المسلمون في لغتهم الفصحى : لغة القرآن والحديث والشريعة أضاعوا دينهم بأقرب مما يتطلبه المرسلون المسيحيون منهم"(٢).

وبهذا تكون الصحف والمجلات ساحة المناقشات وعرض الآراء والردود في قضية العامية والفصحى، وقد تشاغلت بها وأشغلت الأجانب من قبل، والعرب من بعد.

الدعوة العربية الإصلاحيّة وتجاوزاتها:

وكانت على إثر المحاولات الأجنبيّة ومنهم ومنهم:

أحمد لطفي السيد:

إن أوّل من نفث دعوة الاقليمية (اللغوية) هم الأجانب في دراساتهم ومؤلفاتهم عن مصر التي شغف أحمد لطفي السيد بالحديث عنها أي (مصر) وحبه لها فهو لا يقبل وطناً غيرها ولا ينتسب إلا إليها والانتساب لغيرها يعني التأخّر في رأيه، يقول في كتابه تأملات:

" نحن المصريين نحب بلادنا، ولا نقبل مطلقاً أن ننتسب إلى وطن غير مصر، مهما كانت أصولنا حجازية أو بربرية أو تركية أو شركسية أو سورية أو آرمية"... "القومية المصرية

---

(١) نقلاً عن أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن، مرجع سابق، ص١٣٣. ولو أنّا لا نوافقه في رأيه أن اللغة لا تتألف بالتواطؤ.

(٢) نقلاً عن أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن، المرجع السابق نفسه، ص١٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تستأثر في عهد قريب بقلوب المصريين، ولا يكون منهم إلا من يرى من الشرف العظيم الانتساب إلى هذا الوطن المحبوب"[١] واقترح استعمال الألفاظ الأجنبية وكتابتها بحجة انتشارها.[٢]

كما دعا إلى هذه الحركة التمصيرية[*] سلامة موسى في كتابه " اليوم والغد" الذي نشر عام ١٩٢٧ فكان هجومه على اللغة وأهلها والرابطة التي تربطهم وهي الرابطة الدينية وهي كما يدعوها " سخافة" ودعا إلى اللحاق بالأوروبيين لأنه سبيل الرقي كما دعا إلى الكتابة بالأسلوب المصري الحديث فاصِلاً بحواجز بين الأسلوب العربي القديم والأسلوب المصري لأنه سبب تفرق الأدب المصري[٣].

وقد واجه الدعوة التمصيرية الرافعي قائلاً:

"... استعمال المفردات والتراكيب العامية وسينقاد لذلك من بعدنا ثم من بعدهم إلى أجيال كثيرة يتراخى بعضها عن بعض، فيوشك أن يأتي يوم تكون فيه تلك اللغة الفصحى في كتابها الكريم ضرباً من اللغات الأثرية... فإذا أثبتناه وأخذ به غيرنا ولم يكن عندنا لذلك نكير فما أشبهها أن تكون كالقاعدة الاستعمارية التي تبتدئ بالتسامح للمستعمرة والغزاة في أخذ الشيء

---

(١) أحمد لطفي السيد: تأملات في الفلسفة والأدب والسياسة والاجتماع، دار المعارف للطباعة والنشر، ص٦٥- ٦٨.

(٢) انظر أحمد لطفي السيد: المنتخبات، هدية المقتطف السنوية، ج٢، مطبعة المقتطف، والمقطم بمصر، ١٩٤٥، ص١٢٦، ١٣٧- ١٢٩. وأنظر الرد عليه في الكتاب نفسه ص ١٤٥- ١٤٦.

(*) كما نادت إلى التمصيير عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) "إن اللهجة المصرية مؤهلة لتكون لغة العرب فهي لغة الشاشة والمسرحيات والعرب يفهومنها في كل مكان" نقلاً عن عبد المعين الملوحي: اللغة العربية وأعداؤها، مجلة نهج الإسلام، مج١٢، ع٤٦، ١٩٩١، ص١٧٢.

(٣) سلامة موسى: اليوم والغد، عني بنشره انطوان الياس صاحب المطبعة العصرية بالفجالة بشارع الخليج الناصري بمصر، Published by E.A.Elias Cairo Egypt .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القليل ثم تنتهي بالتسامح في كل شيء قلَّ أو كثر!"[١].

ثم أشار إلى استنكاره العامية المصرية وتدوينها لأنها تأبى أن تتقيد بشيء لأنها دائمة التغيير بالأسباب المختلفة حتى أصبحت متمصرة ثم وقف متسائلاً من أي لهجة نأخذ، وأن ما يقولون من تمصير اللغة ما هو إلا من العصبية الممقوتة، فالروح الدينية العربية التي مسلكها الكتاب والسنة في عربيتهما الفصيحة لا سبيل إلى تغييرها أو تبديلها لا على وجه التمصير ولا غيره سواءً أكان إصلاحاً أم لم يكن[٢].

وقد اعتبر محمود محمد شاكر أحمد لطفي السيد تابعاً أو معارضاً لمبدأ مصطفى كامل فقد "أحيطت هذه الدعوة بكل الوسائل المثيرة التي يكون ظاهرها إنقاذ الوطن من براثن الاستعمار الأجنبي بما فيها تركيا، باطنها تثبيت القواعد الفكرية التي تحمل الشاب المصري على أن لا يرى شيئاً يربطه بشيء من البلاد التي تحيط به، سوى ظل باهت من الروابط الدينيّة واللغوية التي فرضت عليه فرضاً...[٣].

دعوة مارون غصن اللبناني في كتابه دروس ومطالعة.

نشر كتابه هذا في بيروت ١٩٢٤ وقد كان من ضمن مقالاته مقال بعنوان " حياة اللغة وموتها" ثم ألف كتاباً اتسع فيه عنوانه "حياة اللغة وموتها اللغة العامية"، عام ١٩٢٥ وينطلق في كتابه من أنه بحث فلسفي لغوي اجتماعي مؤكداً أن هذا بحث جديد لا نذكر أنّ أحداً خاضه قبل الآن مع ما هو عليه من خطورة الشأن في نشوء اللغات، وفتوتها، وشبابها، وشيخوختها، فقد

---

(١) مصطفى صادق الرافعي: تحت راية القرآن المعركة بين القديم والجديد، صحح أصوله: محمد سعيد العريان، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة السابعة، ١٩٧٤، ص٥٧-٥٨-٦٥.

(٢) انظر: الرافعي تحت راية القرآن، مرجع سابق، ص ٥٨-٦٥.

(٣) انظر محمود محمد شاكر: أباطيل وأسمار، مرجع سابق، ص٢٦١-٣٦٣-٢٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زعم فيه أن كل لغة سائرة حتماً إلى الفناء" و" أن لا بد لكل عامية من أن تتحول إلى لغة فصيحة بشرط أن يبلغ الشعب الناطق بها درجة من التمدن راقية"[١] وغيرها.

وقد ردّ الأب أنطون صالحاني اليسوعي على مارون غصن في مجلة المشرق تحت عنوان خطر جسيم أو اللغة العامية، بعد أن تحدّث عن مفاجأته ولاسيما بعد أن نعت مارون غصن مقاله: بأنه بحث فلسفي لغوي اجتماعي جديد يقول الصالحاني:

" لا ريب في أن البحث كما ورد جديد ولم يطرقه أحد من العرب، لا لخطورة شأنه لكن لخلوه من الفائدة في عصرنا... ثم إنه في بحثه لا يلتفت إلى تاريخ اللغة ونشوئها وفتوتها وشبابها بل نظر إلى اندثارها وفنائها فقط. لكن ينبغي للكاتب أن يكون صاحب علم واسع في تاريخ العربية كما أشار إلى الخطأ الذي وقع فيه مارون غصن وهو افتراضه أن العربية لغتان: فصيحة وعامية، وهذا ليس صحيحاً لأن العربية واحدة أما العامية فهي ألفاظ وعبارات تستعملها العامة ممزوجة بالأغلاط، وأما المتأدبون فيستعملونها مهذبة خالية من الأخطاء. كما أن العامة تستعمل ألفاظاً لا وجود لها في أمّهات الكتب كما تستعمل الألفاظ الأجنبية إما لجهلها أو عدم معرفتها العربي المقابل له. والمبدأ الذي قرره لا يصدق، لأنه اللغات لا تحيا كالأجسام الآلية، فالشيخ الهرم لا يعود شاباً. أمّا اللغة بعد انحطاطها لظروف عدّة تنهض بعد ضعفها بترقي الحضارة والعلوم... [٢].

---

(١) انظر: الخوري مارون غصن: حياة اللغة وموتها، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٢٥، ص٤-٥ ولم نعرض لآرائه كلها التي سنذكر بعضها في رد اليسوعي عليه.

(٢) أنطون صالحاني اليسوعي في مقاله: خطر جسيم أو اللغة العامية، مجلة المشرق، ع١، السنة ٢٣، ١٩٢٥، انظر ص٣٣-٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لويس عوض (مفكر وناقد ت١٩٩٠):

نشر هذا الباحث كتباً في مقدمتها بلوتولاند ١٩٤٧م الذي افتتحه بـــ "حطموا عمود الشعر وتحته مباشرة: "لقد مات الشعر العربي، مات عام ١٩٣٢ مات بموت أحمد شوقي مات ميتة الأبد" كما دعا إلى ترجمة القرآن إلى العامية[١].

ودعا في كتابه "ثقافتنا في مفترق الطرق" عام ١٩٧٤م إلى العامية لمواكبة الحضارة[٢].

وواجه محمود شاكر[٣] ما دعا إليه لويس عوض، واصفاً تجربته بأنها مسبوقة نقلها من كتب، ويرى أن الاعتراف باللغة المصرية لا يتبعه بالضرورة موت اللغة العربية إذ احتاط الناس لذلك... [٤].

دعوة سلامة موسى:

وقد نادى بالتجديد، ولا سيما في الأدب لأنه تجديد الحياة، وأن الأدب في خدمة الشعب، إن التجديد في الأدب هذه الأيام لا يعني شيئاً آخر سوى التجديد في الحياة، وهذا هو ما نفهمه من المجدِّدين الإنجليز، فإن الأديب الإنجليزي يتصل بالحياة، وهو ينتقد أسلوب العيش أكثر مما ينتقد أسلوب الكتابة، أمّا أسلوب الكتابة الأديب التقليدي يُعنى مثلاً بأسلوب الجاحظ الكتابي، ولا يعنى بأسلوب الفلاح المصري في العيش.." [٥]

---

(١) محمود محمد شاكر: أباطيل وأسمار، مرجع سابق، ص١٤٣.

(٢) لويس عوض: ثقافتنا في مفترق الطرق، منشورات دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٤، ص١٨٢-١٨٣، ١٦٨-١٧٠.

(٣) محمود محمد شاكر: أباطيل وأسمار، مرجع سابق، انظر ١٤٣-١٤٤. وهذا ما ترجمه لويس عوض نفسه في مقدمة ديوانه بلوتو لاند.

(٤) محمود محمد شاكر: مرجع سابق، ص٢٧٢ – ٢٧٣.

(٥) سلامة موسى: الأدب للشعب، مؤسسة الخانجي بمصر، ١٩٦١، ص ٣، ٤، ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وممن أيّده إبراهيم ناجي[١].

سعيد عقل وديوانه المكتوب باللاتينية (شاعر لبناني)[٢]

إذ هو يحمل لواء الدعوة إلى اتخاذ الرموز اللاتينية في كتابتها، والترويج للعامية واستبدالها بالفصيحة. وقد صنع هذا في كتابه يارة – شعر[٣].

الدعوة إلى الحروف اللاتينية:

ودعا عبد العزيز فهمي (عضو من أعضاء المجمع اللغوي بمصر) في مقترحٍ قدّمه للمجمع إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وقد استهل لأجل ذلك في مقترحه بذم اللغة، وأهلها، كما شكا من أفعال العربية المجردة والمزيدة من الفعل الثلاثي، وأوزانه، والأسماء مصروفة والممنوعة من الصَّرف. ثم عدّ حروف العربية كارثة بل كارثتنا لأنها خالية من حروف الحركات، أي الشكل من فتح وضم وكسر، وسكون، وشدة، ومدّة، وتنوين بأنواعه وكل ذلك جعله مقدّمة لمشروعه القديم الجديد الذي أدخل فيه تغييرات جديدة مازجاً بين الحروف العربية التي تبلغ ثلث الحروف، والحروف اللاتينية مع وجود زوائد لهذه الحروف وقام بتحويل الكسر إلى i والفتح إلى a والضمة إلى u.. ثم قام بطرح مزاياها محتجاً بالأتراك ولغتهم.[٤]

---

(١) انظر المرجع السابق نفسه، ص(٢٠٥).

(٢) انظر أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن، مصدر سابق ص ٢٠٣– ٢٠٤.

(٣) انظر ماناداه سعيد، وردّ عمر فروخ في: القومية الفصحى، داؤ العلم للملايين، بيروت الطبعة الأولى، جمادى الثانية ١٣٨١، تشرين الثاني ١٩٦١، ص ١٤٧–١٥٠.

(٤) انظر عبد العزيز فهمي باشا: تيسير الكتابة العربية، مجمع فؤاد الأول للغة العربية مؤتمر المجمع، المطبعة الأثيرية، بالقاهرة، ١٩٤٦، ص ١– ٤٤.

(وكان من المعترضين على أنه الأسبق إلى ذلك داود الحلبي الموصلي ".. التي بعثت على يده أي (عبدالعزيز) من جديد بعد ان كنت (الموصلي) أول من نادى بها منذ سبع وثلاثين سنة في كتاب سمّاه إصلاح حروفه دائر بالتركية.. " أوضحت فيه بإسهاب عن مصاعب التعلم والقراءة والكتابة بالحروف العربية والتصحيف والتحريف الذين ينشآن من استعمالها وحثثت فيها العرب والترك والإيرانيين على

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودعا محمود تيمور إلى إصلاح الحرف العربي مقترحاً صورة واحدة للحرف وهي الصورة التي تقبل الاتصال من بَدْء الكلمات، وهي التي يسميها أهل فن الطباعة حروفاً من الأول.. على أن تؤثر الكاف المبسوطة وتظل حروف الألف والدال والذال والزاي والواو والتاء المربوطة واللام ألف، باقية على صورتها، وأنها تنفي شبهة القطع بين القديم والجديد فالحروف وعلامات الضبط كما هي*.

فالحروف ستكون واضحة الأخطاء، فهي غير مركبة بل مبسوطة، وعلامات الشكل ستقع على الحروف بأعيانها، وتعليمها أيسر للحرف المتعدد الصور، والمصاعب الطباعية محل لها.

وطريقته: أرَيـَ أن نقتصر من صور الحروف

على صورةٍ... وبذلك يكون..

وهي: أريد أن نقتصر من صور الحروف على صورة... وبذلك يكون ... [١]

وقد ردّد الدعوة للكتابة بالحروف اللاتينية أنيس فريحة (أديب لبناني شعبي)[٢]

استعمال الحروف اللاتينية عوضها... لكنّه اعترض على طريقة عبد العزيز فهمي" بيد أني لا أرى من الموافق إدخال بعض الحروف العربية بين الحروف اللاتينية كالجيم أو الحاء أو الخاء أو الصّاد أو الضاد أو غيرها بصورها الأصلية أو مقلوبة وإني كنت قد عالجت الحروف العربيّة التي لا نظير لها في الأبجدية اللاتينيّة".

داود الحلبي الموصلي: كتابة العربية بالحروف اللاتينيّة، الرسالة، ع٥٩٦، ٤ ديسمبر، سنة ١٩٤٤، ص١٠٦٦.

(*) كما ادعى أن الحروف ليست جوهر اللغة.

(١) محمود تيمور: مشكلات اللغة العربية، ص ٦٦ – ٦٧ – ٧٠. هكذا ورد دون توثيق في الجامعة الأردنية.

(٢) انظر أنيس فريحة: نحو عربية ميسرة، دار الثقافة، بيروت، ص ٨٧، ١١٦، ١٢٤، ١٧٠، ١٧١، ١٧٤-١٧٥، ١٨٣-١٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

*** الردود على دعاوي تغيير الحروف العربية:**

رد محمد كرد علي على عبد العزيز فهمي:

" احتج عبد العزيز فهمي بالأتراك وهي في الواقع حجة عليه لا له، فالأتراك عند أخذهم بالحروف اللاتينية، وقضوا على الأمية بزعمهم، قطعوا صلتهم بماضيهم. وشأن العربية غير شأن التركية، لأن العربية تراث العالم الإسلامي الذي أنجزه في خمسة عشر قرناً، فنحن لا نملك بوجه من الوجوه إدخال جديد مُضر يكون فيه القضاء على قديم مقدّس(١).*

الدعوة إلى العامية من وجهة نظر إصلاحية:

ومن ذلك مشروع الشعر المطعّم لـــ: كامل السيد شاهين، وقد عرفه بأنه الشعر المعرب الذي اختلطت فيه العامية بالعربية، ونهض مع ذلك شعراً سوياً يصور الحياة في كل ناحية، فتجده في السياسة كما تجده في الأخلاق والغزل... وهو أبداً خفيف الروح حلو عذب يطربك بهذا الأسلوب اللذيذ... (٢)

- ودعا مشروع محمد كامل حسين "البدء بتعليم العامية المنفتحة ثم التدرج في الفصحى المخففة التي يكون للعدد فيها صفة دائمة وتستخدم في العلوم الطبيعية والتاريخ والقانون وعلوم الاجتماع أما العربية العالية فتقتصر على المجالات الأدبية"(٣).

---

(١) أنور الجندي: المعارك الأدبية في الشعر والنثر والثقافة واللغة والقومية، مطبعة الرسالة، انظر ص ٩٣- ٩٥. وانظر كذلك رد عباس محمود العقاد: في الحروف اللاتينية، مجلة الرسالة، ع٥٨٥، ١٨ سبتمبر، سنة ١٩٤٤، ص٧٦١.

وكذلك انظر في أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، الناشر نهضة مصر للطباعة، ١٩٩٥، ص٢٧-٣٠.

(*) انظر محمد شوقي أمين: الكتابة العربية، دار المعارف، القاهرة، ص٤٨.

(٢) كامل السيد شاهين: الشعر المطعم، مجلة الرسالة، ع٩٣٩، ١٩٥١، ص٧٧٦ وانظر: حسين كامل عزمي: أدبنا القومي بين الفصحى والعامية، مجلة الرسالة، ع٩٤٢، ١٩٥١، ص٨٣٣- ٨٤٣.

(٣) نقلاً عن مجيد الماشطة: الفصحى أو اللهجات العامية، مجلة القافلة، مج٤٠، ع٤، ١٩٩١ ص٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولجأ عصام محفوظ في مشروعه إلى:

- استخدام كلمات عامية مثل اللي بدلاً من أسماء الموصول الفصحى "الذي" "اللذان".. واستخدام حرف الهاء بدلاً من الإشارة في الفصحى هذا، هو، هذان..، ويطرح كلمات عامية عوضاً عن الفصحى ويسميها بـــ (الألفاظ والمفاتيح): لوين: بمعنى إلى أين، ماذا: مين، والاستغناء عن بعض الحروف، والتزام النصب في الحديث. (١)

لكن المشروع الأهم في عاميته الذي سبق هذه المشاريع حذه مشروع سلامة موسى الذي دعا فيه إلى التسوية بين العامية والفصحى بالإلغاء لا بالتحايل كما فعل عصام محفوظ":

١- إلغاء الألف والنون من المثنى والواو والنون من جمع المذكر السالم وإلغاء التصغير، وإلغاء الجمع وإلغاء الإعراب وإيجاد حرف كبير عند ابتداء الجمل... (٢)

كما دعا مارون غصن إلى الكتابة بالعامية السورية ووضع معايير تلك الكتابة(٣)

---

(١) انظر: عادل أبو شنب: مشروع عصام محفوظ في الفصحى الشعبية، مجلة الناقد، ع٢، ١٩٨٨، ص٤٤-٤٥.

(٢) سلامة موسى: اللغة الفصحى واللغة العامية ورأي السيد ولكوكس، مرجع سابق، ص١٠٧٧.

(٣) انظر: مارون غصن: حياة اللغة وموتها، مرجع سابق، ص٤٧ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مناقشة وردود على دعاة العامية

من ينظر في دعوى الأجانب لا يجد لها معبراً إلا معبر الإقليمية لتفتيت الوحدة العربية.

كما أن فصلهم بين الدين واللغة زاعمين أنها لغة الطقوس حَسْب، زعم مردود " لأن العقل لا يستطيع أن يعمل شيئاً فيما نعلم إلا عن طريق اللغة، فالدين واللغة منذ النشأة الأولى متداخلان تداخلاً غير قابل للفصل، ومن غفل عن هذه الحقيقة ضلّ الطريق، وأوغل في طريق الأوهام، وهذا شأن كل البشر على اختلاف مللهم وألوانهم" (١).

ولذلك جاء الفكر مرتبطاً بالفصحى وهو الذي يدعونا إلى التمسك بها لأنه الرباط الوثيق لأي كان، وإنّ طرق الدعوة قد تكشفت لنا عن خباياها وكان هذا أول سبب للدعوة إلى العامية ووطأتها على أرض الفصحى وأخطرها، وهو دخول المؤلفات الأجنبية إلى البلاد العربية. (أي بعد عصور الانحطاط والتخلف الاستعماري).

فهذه الدعوة ترجع إلى سياسة إقليمية استعمارية مما حدا بسعيد الأفغاني (عميد كلية الآداب بجامعة دمشق) إلى القول: إن "من مباءات هذه الدعوة خلية في الجامعة الأمريكية تعلن وتسر وتلف وتدور تدعي التيسير، والدراسة الخالصة، وتبسيط القواعد، فإذا قرأت هذه المحاولات عرفت أن الغرض ليس دراسة اللهجات، وإنما العمل على ترسيخها، وتوسيع الشقة بينها هي أنفسها ثم بينها وبين اللغة الفصحى، وأن تبسيط القواعد ليس هو المقصود ولكن بلبلتها ثم هدمها لتبنى على شكل النحو الفرنسي" (٢).

فنتجت عن هذه الدعوة العامية الأجنبية دعوة عربية من العرب أنفسهم، فأخذوا باللهجات المحلية بحجة التميّز والانتشار، ومن يتأمل فيما قدمنا يجد أن العامية قدّمت نفسها على استحياء

---

(١) محمود محمد شاكر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، دار الهلال، ص١٠٥.

(٢) سعيد الأفغاني: من حاضر اللغة العربية، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٧١، ص١٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد فترات، ومنهم من عَدَلَ عن تلك الدعوة، ولهؤلاء الذين يدعون إلى الإقليمية اللهجيّة نقول لهم: أليس من الأسهل والأفضل في المجتمع اللغوي الواحد (العربي) أن يُوَحّد لسانه بلسان واحد لا تختلف باختلاف الأقطار في لهجاتها. (التي يفهمها الجميع بل ويتعلمها الجميع منذ بداية دراسته!). فالفصحى أيسر إلى الوصول وهي واسعة الانتشار خالية من أثر البيئات والزمان والحدود، لأنّ العامية شجعها الاستعمار والفصحى وليدة التجمع في إطار الوحدة.

كما "أن انقسام هذه اللغة الواحدة إلى لهجات مهما كانت الأسباب التاريخية والاجتماعية فيما مضى يجب أن نعده اليوم شذوذاً أو خروجاً على أساس الوحدة، فكما كان انقسامنا سياسياً نتيجة ظروف مفروضة لم نكن قد رضينا بها مختارين، كذلك يجب أن يكون شعورنا تجاه اللهجات أو اللهجات المحلية الدارجة"[١] "فضلاً عن قصورها فهي تختلف باختلاف الأقطار بل الأقاليم، المتقاربة، فلهذا لا تصلح أن تكون لغة عامة، ومن الغبن أن نتخذ لغة قاصرة غير وافية لا يفهمها إلا عدد محدود، ونهجر لغة عامة يفهمها كل واحد في كل بلد"[٢].

ومما يلاحظ على دُعاة العامية أيضاً أنهم يكتبون بالفصحى، فقد خانتهم العامية، وكذلك يكتبون بالحرف العربي لا الحرف اللاتيني!.

وسبب آخر جعلهم يدعون لهذه العامية هو تضخيمهم صعوبة الفصحى وقواعدها ومشكلاتها وعجزها عن مواكبة العصر، والعلم، فدعوا إلى نبذها، وما نلحظه في هذا العصر

---

(١) عبد الرحمن البزاز: اللغة العربية الفصحى أقوم سبل الوحدة وأخلدها، مجلة العربي، ع٤٩، ١٩٦٢،ص٢٣.
(٢) إبراهيم عبد القادر المازني: العامية والفصحى، مجلة الرسالة، ع٢٧٧، ١٩٣٨، ص١٧٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في وسائل الإعلام أن الاستخفاف بالعربية شمل العاملين عليها. فكثيراً ما يظهر في المسلسلات التلفزيونية أستاذ اللغة العربية "زري الهيئة رث الثياب لينتزعوا ضحكات المشاهدين"(١).

ثم إن أي تغيير في قواعد النحو أو الصرف يعني ترك الأساليب والتراكيب العربية ونشوء لغة ذات طابع جديد، وسمات جديدة، فتنشأ من ذلك ازدواجية بين المعلوم القديم (بالتعليم) وجريانه على الألسنة منذ الصغر، والجديد غير المتعلم (لكن ينتشر بالسماع أيضاً) فيزيد الأمر خلطاً وفي الوقت نفسه تفكيكاً، وماذا سنفعل بأساليبنا وتراكيبنا غير المستهلكة، ونستهلك الجديد، وكيف سيستهلك القديم في انخفاض نسبة استعمالنا إياه!

فضلاً عن أن "النظام الصوتي لأي لغة يتمثل أولاً في أصواتها ونبراتها وهي في جملتها خاصة بها.. والنظام النحوي ماثل في العلاقات بين الكلمات، ووظائفها في الجملة، أو الجمل، وما يراعى في سياقها، وقرائنها، لتحديد معاني الكلام، وذلك يقتضي معرفة كل كلمة، واستعمالها ووضعها في المكان المناسب لها وفق المعنى المقصود؛ لأن مخالفة هذا الترتيب قد تفسد الفكرة أو تؤدي إلى غير المقصود. واللغات تختلف في ذلك كله أو تتقارب في بعضه، ثم لكل لغة مع أنظمتها الخاصة أساليبها البيانية في أداء المعاني المختلفة، واستعمال الألفاظ في معانيها الحقيقية والمجازية"(٢).

وبعض من دعا إلى اتخاذ العامية لغة أدبية مكتوبة فعل ذلك بحجة أنها أيسر، وأكثر تواصلاً مع المجتمع، وعامته، فهل رأوا في هذا الذي اقترحوه طريقة يُحترم فيها الشعب على مختلف مستوياته، وهل اللغة الفصحى غير قادرة على تلبية حاجات الشعب الأدبية؟ إن الأدب

---

(١) ظهور أحمد أظهر: كيف نحافظ على لغتنا العربية الفصحى، مجلة الفيصل، مج٣٤، ع ٢٨٣، ٢٠٠٠، ص٦٢.

(٢) محمد خليفة التونسي: صفحة لغة، مجلة العربي، ع٣٤٧، ١٩٨٧، ص١٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رفيع الغاية، إنساني الهدف، والفصحى هي التي تحفظ هذا، أما العامية فلا ضوابط تحكمها، لذلك يجب أن يلجأ الأدب إلى الفصحى لأن العامية "ينقصها التدوين وتحديد القواعد وهما أصل اللغة... وإذا نحن تركنا جانباً مجال الحديث الشفوي بين الناس ونظرنا إلى مجال الكتابة، وهي محاريب اللغة، ومتنفسها، ومجلاها، فهل نجد أسباباً أو شبه أسباب تدفع بنا إلى الحيرة عند الاختيار: أنكتب بالفصحى أم نكتب بالعامية؟ ولنا أن نسأل في أعقاب ذلك: لمن نكتب بالعامية؟ بدهيٌّ... لمن يقرؤها، أي لمن تعلّم القراءة، لكن تعلم القراءة لا يكون ابتداءً إلا في مجال اللغة الفصحى، إذ الفصحى وحدها هي التي تعلم تعليماً منهجياً... إذن فكل قارئ، بلا ريب، وبغير استثناء، قد تعلم بعض أصول الفصحى لأنه تعلم القراءة، فلماذا إذن نكتب له باللغة التي تعلم هو أن يكتب بها ويقرأ ؟" (١).

إن الفصحى تمتاز بتراثها وألفاظها ودلالتها على المعاني "إذا قيست بالعامية التي ظلّ التعبير بها قاصراً على ضرورات الحياة المادية، والنفسية، والثقافية الفقيرة، نتيجة لفقرنا في جميع تلك النواحي خلال قرون الظلام والتخلف الماضية"(٢).

لذلك وجب علينا أن نحافظ عليها ونرتقي بها في أثناء كتاباتنا، مستفيدين من خصائصها وطواعيتها، ولكن التجديد لا يأتي "من إهمالها والدعوة إلى العامية أو اللغات الأجنبية، وإنما يأتي من تفجير ينبثق من خصائصها، ووسائل نموها، وهي وسائل توصل إلى أسمى الغايات، وأنبل الأهداف، لو استثمرت استثماراً علمياً دقيقاً لا تصطرع فيه الآراء ويعلو صوت

---

(١) محمد عزيز أباظة: الفصحى والعامية من زوايا جديدة، البحوث والمحاضرات الدورة الثانية والثلاثون، ١٩٦٥- ١٩٦٦، مؤتمر القاهرة، ص ٢١٠-٢١١.

(٢) سعد أبو الرضا: توظيف اللغة العربية بين الفن والتجاوز، مجلة الفيصل، مج١٦، ع١٩٩٢،١٩٢،ص١١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التكفير"[١]. ففي هذه الدعوة هَدْمُ للوحدة اللغوية، وفي تكفيرها حفاظ على اللغة وأهلها من الإتباع الأعمى الذي تنعدم فيه الرؤى والتأملات فيُصبح المستقبل مكاناً للمفاجآت (المتوقعة)! كما أنّ الدعوة إلى العامية، يستحيل أن تفضي إلى قومية (عربية موحدة) وهو ما يتطلبه فكرنا اللغوي، وما الدعوة إلى العامية إلا أمر غير طبيعي، وكذلك الاختلاف في الآراء لاتخاذ الفصحى لغة العلم والمعرفة والتواصل أمر غير طبيعي، في عصر نأمل فيه تحقيق الوحدة المشتركة بالطرق المؤدية إلى الفصحى.

(١) أحمد مطلوب: التنمية اللغوية، المجمع العلمي العراقي، مج ٤١، ج٢، ١٩٩٠، ص ٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

آليات ومحاولات نشر

اللغة العربية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الإعداد والتقديم

يشهد (العصر الحديث) تقدماً واسعاً في مجال الوسائل والتواصل والفكر من فتح باب التعليم المختلف المستويات والمنتشر في الأقطار العربية وكذلك الوسائل الإعلامية من إذاعة (أكثرها انتشاراً) وتلفاز وصحافة ومجلات وغيرها.

وثمة رؤى تنبئ (بعد القرار السياسي) عن دور وسائل الإعلام في النهوض باللغة العربية فهي متوغلة في كل بيت ولها سلطة الإقناع والتأثير كما لها صدى التقليد والاتّباع لأن وجودها في كل بيت يعني وجود تواصل لغوي وحضاري وبالتالي يوجد تواصل اجتماعي بين الأفراد والوسائل الإعلامية المختلفة ولا سيما في هذه الظروف ذات الأبعاد السياسية الساعية نحو العمل إلى الوحدة، بعد الذي كان من أسباب التشرذم والتجزئة. ومع ما يتصل به من نظام التعليم وأساليبه المختلفة في أثناء الدرس الوظيفي للغة العربية سماعاً وحديثاً وأداءً.

فاللغة العربية في (حقب من تاريخها) كانت تحت سلطة من الغزو (الثقافي والفكري) ما زالت ماثلة آثارها إلى اليوم في أجهزتنا الإعلامية والتعليمية، وهذا بدوره يفضي إلى شتات فكري يعيق العمل الجماعي العربي اللغوي.

وما تعانيه اليوم شاشاتنا الإعلامية وصحفنا المحلية من أخطاء وعثرات إملائية أو تعبيرية أو لهجية مُنَفرة، أو ثقافة لغوية استعمارية، وبحسب الثقافات المقبولة لدى هؤلاء من مذيعيين أو صحفيين، أو اتخاذ كل مذيع لهجة خاصة تبعاً للمواقف أمامه، وما يعرض من برامج ذات حوار غير قادر على إكمال الحلقة بالفصحى، فلا بد من تطعيمه بالعامي، وما هذا إلا نتيجة ضعف الأداء اللغوي الواجب متابعته. وما نراه من انحرافات كثيرة في هذا الجهاز الإعلامي من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مسلسلات، قد توغلت في لهجة دون أخرى وسعت لإثباتها في التأثير على المشاهد والمستمع العربي.

وفي هذه الظروف التي ما زال التطور والتجديد فيها مستمراً، كان الاعتماد والجهد مرتكزاً على الوسائل الإعلامية المختلفة حتى نجد للجفوة العربية في النطق العربي واللغوي تقارباً، وفي اللغة أساليب وألفاظاً موحدة ترمي إلى التواصل اللغوي، ليس للقطر العربي الواحد، بل في الأقطار العربية جميعاً وهو ما يمكن أن يكون من خلال هذه الحضارة الإعلامية في أن تتقارب الألفاظ الموحّدة المشتركة بين الدول العربية واعتماد هذا التواصل على اللغة الفصحى ما استطعنا إلى ذلك بالعمل الجاد والإصرار على المواصلة.

ولا يعني أنه كلما اتّسع الضبط اتّسعت البرامج، بل يعني أن تُوَظَّف البرامج المختلفة ومنها البرامج الحوارية التي تعتمد على الأداء اللغوي وتبادله بين المتحاورين، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى إغناء لغوي وتدريب سمعي للقارئ أو الناظر.

فالأمر إذاً بحاجة إلى مناقشة الوضع الإعلامي الحاضر مناقشةً أكثر واقعية وأكثر تمثيلاً له لأن الأمر لا يتوقف على الوصف بل يتعداه إلى حسن بناء نتائج وآليات تحرك هذا الوصف نحو العمل الإعلامي المشترك (داخلياً وخارجياً) لينطلق وفق برنامج محدد الأهداف في الأقطار العربية لتحقيق الجماعة اللغوية الواحدة أو (المتقاربة) لذلك لجأنا إلى الوصف اللغوي للأجهزة الإعلامية آملين الانتقال من حسن الوصف إلى حسن العمل أي التكامل الإعلامي في إطار الوحدة الإعلامية والتعليمية.

والوحدة الإعلامية تشاركها الوحدة التّعليميّة، فالانحراف اللغوي والصوتي والأدائي والوظيفي يترسّخ في التعليم أيضاً، من المرحلة الابتدائية وما بعدها حيث اللهجة العامية واللغة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصحى تتصارعان، بل تفوق العامية الفصحى على ألسنة الطلبة (والمعلّم) فيجدون العامية المنقذ الوحيد للخروج من المأزق، فالحصيلة اللغوية لدى الطلبة خاصة لا تؤهلهم على متابعة الكلام بها وهذا ما نشاهده في المدارس الابتدائية والثانوية وفي الجامعات، فعند كتابة موضوع الإنشاء مثلاً لا يقدر الطلبة على مفارقة الكلمات ذاتها فيكررونها إلى حد الإملال.

وما نَقْلُنا لهذه الوقائع التصويرية للوسائل الإعلامية والتعليمية إلا لأجل المشاهدة والتأمل لإيجاد آليات تتناسب ونشر اللغة العربية الفصحى، وفقاً لمعطيات الحضارة التي وجب استغلالها وسط هذا التشعب اللهجي، والسعي نحو التوحد اللغوي من خلال الإعلام والتعليم وأنظمته الحضارية.

فكانت وسائل الإعلام والتعليم منفذاً لتطبيق الفكر العربي لاعتبارات دينيّة تنطلق من نظرة توحيد الفكر، وتوحيد لغة التواصل، حتى يجعل كل من الإعلام والتعليم يسعى إلى العمل والتكامل اللغوي نحو الوحدة اللغوية العربية المشتركة دون أن تصطبغ بصبغات لهجية.

لذا وجب استخدام هذه الوسائل الإعلامية التعليمية لإرجاع الذاكرة اللغوية إلى وحدتها الفكرية الدينية التي لا يُحْرَم منها الإبداع والحضارة في سبيل الفكر الواحد.

فكان هذا الإعداد للإعلام ووسائله والتعليم وأساليبه وطرقه مستفيداً من الحضارة، وعليه يجب أن يكون هذا الإعداد في إطار تقديم سلوك لغوي واحد إعلاميّاً وتعليميّاً.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإعــلام

الحديث عن اللغة حديث عن هيكلية تكاملية قد تأسست لها قواعدها، وأنظمتها في بناء محكم، فهي وسيلة التخاطب، والتواصل، والنقاش والتحاور وهي أداة للكتابة، ومظهر من مظاهر سلوك الإنسان وتصرّفاته وبيئته اللغوية. لذلك، كان أوّل تخطيط لغوي يمكن أن يساعد على نشر اللغة العربية الفصحى لغةً قوميّة هو التخطيط الإعلامي الذي تمثل في التقريب بين اللهجات سليقيّاً، فالحاجة إلى التوحيد اللغوي بين الأقطار العربية هي حاجة قومية أيضاً.

فوسائل الإعلام العربي من فضائيات وتلفزة وإذاعة (أكثرها انتشاراً) وجرائد ومجلاّت وغيرها من وسائل مسموعة أولاً، ومرئية مسموعة ثانياً تعيد إلى ذاكرتنا مشهد اللغة قديماً عندما كانت تؤخذ سماعاً، وعندما كان سماعها من المصدر الموثوق كانت أجدى وأنفع وأكثر أخذاً ورسوخاً وثباتاً ولا سيما في معاشرة أهل اللغة أو مدى الاتصال الفعّال في الأسواق فينقلبون عائدين إلى أوطانهم بتلك الألفاظ المسموعة والمزايا الفصيحة ومستوياتها المختلفة.

فقد كان بداية الإعلام مسموعاً وفي الحاضر مسموعاً ثم دُعِّمت بطباعتها ثم رُسّخت برؤيتها المتمثلة في شاشات التلفزة، وكل هذه مقومات متصلة متشعّبة في إطار وحدة خاصة في نشر اللغة العربية الصحيحة.

ومن هنا تكمن خطورة الإعلام أيضاً، والمرئي منه خاصّة، وهذا مما يجعل وسائل الإعلام أداة نداء لبث العربية السليمة (الصحيحة) لا وسيلة لبث النعرات الإقليمية اللهجيّة أو العاميّة، فالمرئي يجعل الحرص على الصورة دون الأداء اللغوي وذلك في (المسلسلات وبرامج التسلية والضحك).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمثلاً نجد بعض برامج التلفزة تتحدّث العامية وفقاً للموقف أو الموضوع فهي تستخدم لغة تناسب الصورة المناسبة للكلمة، وللموضوع فتستخدم الفصحى في الأمور الجادّة أما العامية فلغير تلك الأمور، مطعِّمة إياها مرة بالفصحى، ومرّة بالدارجة، وأخرى بالعامية المكشوفة، وكأن اللغة الفصحى لغة مناسبات. لكنّ هذا الأمر لا يعني أن الجمهور العربي يرفض الفصحى بل يَزداد ثقة بلغته، ولو كان مستغرباً حيناً آخر.

أما لغة الإذاعة، وكذلك التلفزة، أيضاً، ولا سيما في الأمور والهموم اليومية فتجد المذيع يدور حول لهجة مقبولة اجتماعياً، أما المذيعات فيلجأن إلى لهجات أكثر تمدُّناً ظناً منهن أنها أكثر أنوثة ورقيّاً وما هذا المشهد اللغوي إلا صورة لغة قومية ذكورية أو لغة أنثوية.. وهذا كله مما نراه في دور الإذاعة والتلفزة والفضائيات مثلاً " وبعدين حنشوف حلئة جديدة من حلآت كاستلو... لو قالت: وبعد ذلك ستشاهدون حلقة جديدة من حلقات كاستلو"[١].

أمّا اللغة المطبوعة المتمثلة في الجرائد والصحف والمجلات وعلى شاشات التلفزة فيختلف الأمر عن المسموع نظراً لكونها مكتوبة ومقروءة، فنجد، بفعل الترجمة ونشاطها في آخر القرن الماضي، الأساليب غير العربية والألفاظ المقحمة (الأجنبية) وقد اختلفت عما هو معهود في تراكيب العربية الفصحى، فهي التي يصفها المتخصصون باللغة الإعلامية " فهي ليست لغة التراث أو لغة الأدب أو لغة العلم والحضارة فهي تأخذ من كل منها وتصيغ من هذه الحصيلة المشتركة شيئاً جديداً يحمل ملامح التمايز والاختلاف كما يحمل في الوقت نفسه سمات التشابه والتقارب"[٢].

فهي لغة مزجيّة يتواصل فيها العالم دون النظر إليها على أنها بعيدة عن الفصحى. وهذه اللغة رسخت لنفسها أصولاً وقواعد، فاتخذ الصحفيون منها وسيلة لاستقطاب الرأي العام مستغلة كون الإعلام المرئي من أهم وسائل الاتصال في الوقت الحاضر لتوفّره في كل بيت، وتتساءل بعد هذا التقديم ما وضع اللغة في التلفاز العربي؟

---

(١) عبد الرحمن البزاز: الفصحى عنوان وحدتنا مجلة العربي، ص١٨،ع٤٦، ١٩٦٢.

(٢) فاروق شوشة: لغتنا الفصحى والاتصال بالجماهير، مجلة الهلال، ع٤، ١٩٧٠، ص١٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في التلفاز العربي لا توظَّف اللغة العربية توظيفاً سليماً عن طريق الأداء الجيد والنطق السليم، فنسمع الكثير من الأخطاء اللغوية والنحوية، وقد تعدّى الأمر إلى طرح أسماء برامج بالعامية ناهيك عما في تلك البرامج من مداخلات صريحة بالدارجة متمثلة بلهجة منحازة إليها فهي تهدم " كل ما اكتسبته الواعية العربية الحديثة في باب تصحيح الكلام، والارتفاع بمستوى بيان المثقف العام المعاصر، فضلاً عن العالم المتخصص فوق العاميات المحكية، رفعاً لهذين : المثقّف والعالم إلى آفاق الفكر والعلم المعاصرين"(١). بل وفيه عدم احترام غير المثقف منهم فلا يلجأ إلى الحديث بلغة ترفع من قدره وترتقي به.

أما المسلسلات التاريخية والدينية التي تحافظ على لغتها في إعرابها وتمثّلها وبيانها وبلاغتها فقد دعت بعضهم إلى تمثّلها في مَثَلٍ قد ورد، وتعبير قد أُعجب به، أو اقتباس مفردات، وهذا يدل على أنّ الجمهور لديه رغبة في تمثّل هذه اللغة، لكن طالما انتهت الأمنية بانتهاء حلقات هذا المسلسل الديني أو التاريخي، وكأن لغتنا العربية لغة تراثية صاحبة تراث قديم لا تراعى ولا تستخدم إلاّ في سياق تاريخي أو ديني!

ولا يقف الأمر عند المسلسلات بل يتعدى ذلك إلى الإعلانات التجارية، فنجد العامية في أوضح صورها (تبعاً لغايتها) لكن ما يُضيق الغاية أكثر هو بث هذه الدعايات (العامية) أو الإعلانات في أثناء مواقف جادّة في أثناء الفواصل القصيرة بين البرامج التعليمية أو الحوارية أو الإِخبارية التي يمكن أن نطلق عليها " استراحة عاميّة" !.

إن اللهجات عبر الفضائيات ليست واحدة بل تسعى كلّ فضائية منها إلى الانتقاء من قطرها لهجة رسمية (فضائية) مكررة أسلوباً من أساليب الاستعمار بتشجيع العاميات وإقصاء الفصحى،

---

(١) عزالدين البدوي النجار: الفصحى ضرورة العصر، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج٧٤، ج٣، ١٩٩٩، ص٥٢٥-٥٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتطاول أن تبث النشرة الإخبارية بالعامية، علاوة على الأخطاء فيما يعرض من كتابة مقروءة تلابسها الأخطاء البنيوية والشكلية [١] فترك الهمزات أو كتابتها في غير موضعها شيء تعاني منه وسائل الإعلام جميعاً معاناة جليّة.

ومع ذلك لا نريد هضم بعض حسنات الإعلام بأنواعه المختلفة، فقد كانت في بعض برامجها تحاول الاقتراب من الفصحى أو التقارب من ذاكرة الجمهور إلى الألفاظ والتراكيب الصحيحة حتى أخذه وعيه إلى أن هذا التركيب خطأ، أو أن اللحن اللغوي أو النحوي واضح، فيقف الجمهور والعاملون إلى إدراك الأخطاء معتذرين أو منبّهين إلى ذلك فهذا مما يعزّز اللغة لدى الجمهور ويعيد الثقة بالمحطات الإعلامية المختلفة كالبرنامج الذي أنتجته دول الخليج العربي باسم (افتح يا سمسم) فقد لقي ترحاباً وتمثّلاً لكونه يحافظ على الحيوية التي يحققها الممثلون خلال تلاعبهم بنغمات الصوت وليس بإدخال سمات معجميّة أو قواعد عامية على الحوار الفصيح"[٢] فهذه الوسيلة هي وسيلة تقريبيّة نحو الفصحى وتمثّلها، وكذا برنامج "المناهل" الذي قدّمته الأردن لنشر العربية الصحيحة. فالتخطيط الإعلامي يقوم على إدراك العيوب أولاً، وإعداد الإعلاميين إعدادا مهنيا ولغويا ليكونوا رافدا في إشاعة الفصحى في أقطارنا العربية، وعنصرا فاعلا في مشروع التحول الذي نرنو إليه.

إنّ هذا الشعور هو من أظهر الطرق إلى اتخاذ العربية وسيلة المخاطبة وإدراك الأخطاء المختلفة مع لفت الانتباه إلى البرامج الجماعية التي يجب أن تكون خالية من سمات اللهجة النطقية فـــ" الخطر الذي يتهدد الفصحى في الإعلام العربي خاصة كامن في اضطراب المنطق

---

(١) بتصرف شديد عن: مسعود بوبو، دور الفضائيات العربية واللهجات العربية، مصدر سابق، ص ٤٧.

(٢) كيس فرستيغ: اللغة العربية تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، ترجمة: محمد الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣، ص٢١٢-٢١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واختلاف النبرات وتباين اللفظ فهذا الفساد يوسّع الشقة بين لهجاتنا"[١] فـــ" ليس أبعث على نفور العربي من أخيه العربي أن يسمعه ينطق الكلام نطقاً يخالف نطقه"[٢] لأن لغة الإعلام المرئية (التلفزة) تعتمد على النطق في كل ما تبثّه فبذلك تكون "أسرع تغيّراً أو تلوثاً من اللغة المكتوبة"[٣].

فلغتنا العربية بحاجة إلى عملية ضبط قبل عملية التوسّع في البرامج المختلفة فهي بحاجة إلى ضبط العاملين في الإعلام وضبط الأداء الإعلامي بأنواعه المختلفة من أداء صوتي أو أداء لغوي ونحوي " فهي تعاني من تطعيم عامي بفصيح" وضبط الجهة المسئولة عن العملية الإعلامية اللغوية والبرامجية.

وكل هذا لأن الوسائل الإعلامية من شروط تقدّمها وحضارتها ووجودها أن تقدّم ما وصلت إليه من خدمات تخدم اللغة لتكون المعادلة متوازنة أو ماضية نحو التكامل الحضاري والإعلامي.

إن ما قدّمه الإعلام اللغوي مرة فصيحاً ومرّة عامياً وثالثاً مطعّماً "مهجّناً" ما هذه الصورة إلا صورة تفرق في إطار وحدة إعلامية عربية، وهذا التعدد في مستويات الأداء اللغوي معتمدا ًالآن على الإعلام لما له من آثار في تدوين الصوت والصورة والمكتوب " المقروء" وقدرته على تشكيل الرأي العام العربي وضبطه، ففي الإعلام تؤدي اللغة وظائف "الإبلاغ والتوجيه

---

(١) محمد رضا الشبيبي: بين الفصحى ولهجاتها، مجلة الرسالة، ع٩٧٠، ج١، ١٩٥٢، ص١٣٠.

(٢) إبراهيم أنيس: اللهجات العربية، مرجع سابق، ١٩٦٥، ص٢٨.

(٣) خليل حلمي خليل: التخطيط اللغوي وتلوث اللغة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الإسكندرية، ع٢، ٢٠٠٠، ص١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والإقناع" "فاللغة تحتاج إلى مهارة توظيف"[١] وفق لغة سليمة صحيحة خالية من السمات اللهجية أو الأخطاء النحوية أو اللغوية أو التركيبية.

فبمقدار هذا الضبط الجامع في تشكيل الرأي العام وتقارب الآراء الجماهيرية لسلطة الإعلام وأشكاله المختلفة يصل الإعلام إلى التمثّل به إذا ضُبط الصوت والمنطوق والمكتوب في إطار العمل التكاملي بين وسائل الإعلام المختلفة. وبذلك تتقارب اللغة موحّده مشتركة في نطق واحد خالٍ من السمات اللهجيّة، وكلام منطوق خالٍ من الأخطاء، واستعمال الشائع الفصيح المستعمل بين أقطار الدول العربية بغية التواصل ولغة مكتوبة سليمة.

فهذا المشهد إن أُخذ في تكامل الأدوار الإعلامية تساعد في التقريب بين لهجات الدول العربية المختلفة ومستويات الأداء في التعبير والألفاظ والتراكيب.

إن الوسائل الإعلامية وما تتضمنّه من برامج ثقافية، قد ساهمت إلى حد كبير في نشر الثقافة والمعلومات وأساليب الحضارة، وإيقاظ الفكر، والوعي العربي، واستعمال اللغة العربية في الحوار والحديث استعمالاً تدريجياً.

(١) وليد العناتي: مقال بعنوان: إعلاميون وأكاديميون: لغة ثالثة تأخذ من الأكاديمية منطقها ومن العامية طاقتها التعبيرية، جريدة الغد، الأحد ٢٥محرم ١٤٢٦هـ – ٦ آذار ٢٠٠٥م ج٢ صفحة حياتنا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التعليم

تتمثل الازدواجية اللغوية في التعليم حين يُظنّ أن مسؤولية تعليم اللغة العربية منوطةٌ بالمعلم وحدهُ، أما الآخرون، في المواد الأخرى، من العلوم البحتة، أو الفنون، أو الرياضة، فهؤلاء يظنون أنهم قد خرجوا عن إطار التدريس باللغة العربية، فهم ضمن رموز لغة جديدة علمية أو فنية أو رياضية. ومن هذا المنطلق يقع اللّوم على مدرسي اللغة العربية حسب، مُعلنين أنه لو تمّ إصلاحهم ورفع كفايتهم، وزيادة رواتبهم، وتحسين وضعهم الاجتماعي لما رأينا هذا التعثّر في تعليم اللغة واكتسابها، فنجاح اللغة العربية وسيرورتها على ألسنة الطلبة يعتمد على دور معلم اللغة العربية.

ولا بد من النظر في هذه المسألة بطريقة أكثر حياداً وأكثر إحساساً بالمسؤولية الجماعية. فالنهضة الحضارية الحديثة يجب أن تتبعها نهضة لغوية وتربوية تتقارب لتتوافق مع نهضة العلم والحضارة والفكر. أي يجب أن ترقى اللغة رقيّاً طردياً مع نهضة الأمة، وهو ارتقاء يكون نحو الفصحى، فلغة الفكر هي لغة الكلمة سواء أكانت منطوقة أو مكتوبة.

فانتشر التعليم وأخفق دعاة العامية بعد أن نهضت الأمة بفكرها وزالت إرادته المسلوبة فانتشر العلم ووسائله وانتشر التعليم ووسائل الإعلام الثقافية الواعية المختلفة.

وقد أدّى النظر في المشاهد المختلفة للعملية التربوية والإعلامية من مرئية ومتعلّمة إلى إحياء المشكلة اللغوية المتمثّلة في ضعف الأداء والتعبير والأساليب المختلفة لهذه المشاهد ومنها "مشكلة التعليم".

فالمشكلة ليست في المعلم وحده بل في المعلمين جميعاً وفي مدى اتصال وسائل العلم والتعليم لدى الهيئات التعليمية المختلفة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأوّل ما سنواجهه بالتوجيه هو الزام كل معلم لغة عربية وغيره بالحديث باللغة العربية من حيث التركيب الصحيح وإجادة أوضاع الكلمة في الجملة صرفاً ونحواً وأداءً وبعض الطرائق اللغوية التي يلجأ إليها المعلّم لإثبات أو إيصال معلومة ونبذ ما يسمونه "بالتخصص" فمعلّم العلوم البحتة أو غير معلم اللغة العربية يجب أن يدرّس مادته كلها بالعربية قدر المستطاع في أثناء الشرح خاصة وفي عملية إيصال المعلومة فـــ" التكلّم بالفصحى أصل وتواصل"(١).

لكن هذه المناداة تبقى في حيّز من النظريّة، فنرى معلم اللغة العربية لا يلتزم بكل ما أوتي من لغة للتعبير باللغة العربية لكنه يسعى دائماً إلى أن يكون كذلك، ولا سيما تحت رقابة مشرف أو موجّه، حتى إنّ المشرف التربوي عند ذهابه إلى درس آخر غير العربية لا يراعي عملية التحدث باللغة العربية بل بمدى إيصال الفكرة إلى العقول، ومراعاة اللغة ثانياً، فالعلوم البحتة تتوقف المعرفة بها على الفكرة لا على طريقة الأداء اللغوي السليم في إيصالها.

وينسحب الأمر على بعض أصحاب التخصصات العلمية إذا ألّف أحدهم كتاباً ذهب إلى معلّم العربية لمراجعته وتدقيقه لغوياً ونحوياً وتركيبياً وكأنه ليس من أهلها!.

وما يزال التعثّر جلياً في لغة مناهج التربية والتعليم أيضاً عندما نجد أخطاءً لغوية وكتابيّة مثل: ترك همزة أو وضعها في غير موضعها، فتتشكل لدى الطالب هذه الصورة، وكل ذلك لأنّه بنى ثقته على لغة مناهج التربية والتعليم المدرسية المتَّبع وهو بالنسبة إليه القدوة اللغوية المُتقلدة.

وهذا الواقع ما يزال حاضراً في كتبنا ومناهجنا ومدارسنا ومعلّمينا على الرغم من التقديرات والملاحظات التي لا تخرج من إطار التوصيات والاتجاه نحو الإصلاحات: تعليمية

---

(١) عصام نورالدين: مقالات ونقاشات في اللغة، دار الصداقة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٥، ج١، ص٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإعلاميّة ورقابة شروط تعيين وطرائق التقويم واستثمار الحاسوب فما نرى منها إلا تحقيقات تتراءى بين حين وآخر دون أن تشكل موجة تغطي بعض سمات الموجة السابقة[١] أو تيّاراً.

وعند التحاق الطفل بالمدرسة تبدأ عاداته النطقية والكلامية بالتّقلص وتبدأ لغته الجديدة بالتعلم فيجد نفسه أنه أمام تعلم مصطنع " غير تلقائي" " ومما لا شك فيه أن هذا التحول في كلام الطفل وإرغامه على النطق بألفاظ عربية جديدة تخالف جلّ المفردات المكتسبة (ليس بالضرورة) بصورة طبيعية تلقائية وهذا أمر غير يسير على متعلّم مبتدئ صغير، وغير خاف على رجال الفكر والعلم والتربية ما لهذا التحويل من خطورة وأضرار في تكوين الطفل، وما له من آثار بالغة في نفسيته وتطوير عقليته"[٢] وهذا لأنه " لا يكتسب الفصحى بالطريقة نفسها التي يكتسب بها لهجته العامية... وفي تعامله مع الفصحى يستخدم الطفل العربي معرفته بالعامية في فهم الفصحى"[٣].

ولهذا السبب كان بالمكنة على الإعلام المرئي والتعليم (الحاسوبي) خاصة بث برامج تخص المراحل الأولى الابتدائية حتى تؤثّر في الطالب ويكون فيها مقومات الالتفات الشكلي والعقلي دون حدوث صعوبات كبيرة تواجه الطلاب أو المعلمين.

إن التلقين والتعليم (الكتابي) المستمرين السليمين، طريقةً ومنهجاً، هما ضمان الاستعمال اللغوي الصحيح (منطوقاً أو مكتوباً) المبثوث في وسائل الإعلام التعليمية ومناهج التربية. فمثلاً: يعمد إلى توحيد النطق العربي وذلك من خلال منهج أو مادة واحدة تدرّس للطلبة في جميع

---

(١) بتصرف عن نهاد الموسى: قضيّة التحول إلى الفصحى، مرجع سابق، ص١١٣-١١٤.

(٢) محمد السرغيني: الازواجيات وتعدد اللهجات واللغات، مجلة اللسان العربي، مج٦، ع٦، ص١٠٦.

(٣) علي صبري فرغلي: الهوية العربية وإزدواجية اللغة في عصر المعلومات، مجلة الفكر العربي، ع٩٦، ١٩٩٩، ص١٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقطار البلاد العربية من مرحلتهم الابتدائية، وبث أسئلة متفرّقة بين صفحات الكتب للحديث عن الحروف ونطقها (وتمثّلها سماعياً تطبيقيّاً على الوسائل الحديثة مثل الحاسوب اعتماداً على أسلوب السّماع) والتكرار وإرجاع الذاكرة بين حين وآخر.

وفي أثناء هذا العرض يطرح أحمد صدقي الدّجاني بعد تجربته التدريسيّة السؤال الآتي "كيف يستقبل الناس على اختلاف فئاتهم ومستوياتهم ومشاربهم الحديث بالفصحى؟ وما هي ردود أفعالهم وإلى أي مدى ينسجمون معه؟".

في الملاحظة الأولى يقول: "حين أتحدث بالفصحى مع أناس أقابلهم للمرة الأولى في السوق أو في الشارع متناولاً أمور الحياة اليومية، يصابون للوهلة الأولى بالدهشة، والاستغراب، ولكنهم ما أسرع ما يألفون (النغمة).

والملاحظة الثانية: إن ردود فعلهم في الغالب تكون بإجابتي بالفصحى، فإن كانوا من العامة الذين تلقوا قدراً بسيطاً من العلم استخدموا الفصحى المدرسية، وإن كانوا من المثقفين انطلقوا في حوار فصيح يعطي الحديث طابعاً رفيعاً، وحين يجري الحديث مع أميّين يأتي الرد بالعامية مع بيان فهمهم لما قلت، وظهور ما ينبئ بسرورهم لسماع اللغة الفصحى، ولا يخلو الأمر من قلة نادرة تأخذ الأمر كله مأخذ الهزل متأثرة بالصورة المشوّهة التي تقدّمها بعض التمثيليات الإذاعية والتلفزيونية والأفلام السينمائية لافتاً إلى نغمة السخرية وكأني لم أنتبه لها أو أشعر بها".

وقد استخدم تعبير الفصحى المدرسية، يقول: " لأميّزها عن الفصحى لأني ألاحظ من تعليق الناس على حديثي وأحاديث آخرين يلتزمون بالفصحى أنهم يؤكّدون سمة التلقائية وخاصيّة السلاسة في هذه الأحاديث، ويشيرون دوماً إلى ما يسمونه اصطناع الحديث بالفصحى وأنا أسلّم بهذا التفريق ومردّه فيما اعتقد أن التزام الحديث بالفصحى يكسب الحديث التلقائية والسلاسة بينما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسلوب تعليمها في مدارسنا والاقتصار عليها عند قراءة النصوص العربية ليس إلا هو الذي يوحي بذلك الاصطناع".

والملاحظة الأخيرة: "أنّ جلّ الناس بعد أن يتجاوزوا وقع المفاجأة (لدى سماعهم) الحديث بالفصحى وبعد أن يظهروا ردود فعلهم الأولى، ما أسرع ما يألفون هذا الحديث وينسجمون معه، ومن هنا فإن موقف المتحدّث بالفصحى، وهو يصرف أمور حياته اليومية، هو موقف قوي أهم ما فيه أنه قريب من قلوب الآخرين، كما أنه أقدر على التعبير الدقيق، وهذه القدرة على التعبير الدقيق لا تمنع المتحدث بالفصحى في أن يشعر أحياناً بحاجته إلى استخدام تعبير يشيع على ألسنة العامة، وقد درجت في مثل هذه الحالة على استخدامه بلا تردد، ووجدت بعد متابعة المعاجم أن كثيراً من تعبيرات العامة هي تعبيرات فصيحة في الأصل وقد وردت في القواميس"(١).

وكل هذا لأجل تشكيل شخصيات حوارية تتكلم الفصحى في شتى مناحي الحياة اليوميّة.

وقد انتحى عبد القادر المغربي " الطريقة المقاماتية" كما دعاها في إحياء فصيح اللغة أي طريقة الحريري والبديع في مقاماتهما فيعمد إلى ملح من أقوال العرب يكون قد رواها رواتها (بتعابير) من الغريب الفصيح ويُدخل هذه المستظرفة في المحاضرات التي تلقى الجمهور من وقت إلى آخر فتعلق ألفاظها الفصيحة بأذهانهم من حيث لا يتوقّعون ويقول: وقد نجحت هذه الطريقة وقد تنجح إلى أقصى حد إذا ثابرت أنا وغيري عليها"(٢).

---

(١) أحمد صدقي الدجاني: الناس والفصحى في الحديث اليومي، مجلة العربي، ع٢٤١، ١٩٧٨، ص٥٢-٥٣.

(٢) انظر عبد القادر المغربي: إحياء فصيح اللغة، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مج ٢٣، ج١، ١٩٤٨، ص٤٤-٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكنْ هل هذه هي القضيّة وحلُّها؟ إنّ ما يمكن أن ينبغي أن يحدث هو عملية تقريب الشَّقّة بين العامية والفصحى " لا تغريبها" وذلك عن طريق التعليم المتعاون والجاد للغة العربية، وذلك بقراءة الماضي من كتب أدبية وعلميّة (خاصة) فكيف استطاع هؤلاء أن تكون لغتهم المكتوبة في أنقى صورها دون أخطاء مذكورة فـ" نستمد منه عظمة الماضي وعدة الحاضرة وأمل المستقبل"[١] مع ما نراه اليوم من وسائل النهضة المختلفة التقريبيّة.

ولا ينبغي أن ننسى دور الأسرة أو نستبعده، وذلك في تشكيل لسان متعدد الحصيلة اللغوية من مفردات وتعابير وتراكيب، ودورها في توظيف هذه الذخيرة، وضرورة تحفيظهم القرآن الكريم، والاهتمام بمتابعة البرامج الثقافية وبرامج الأطفال، ليكون الطفل لدى سماعه الكلام قادراً بحدسه وسليقته على قبوله.

إذن، فالقضية قضية مفردات وتراكيب، لكن هل كل ما هو عامي غير فصيح أو صحيح؟ لقد أوردت بعض الكتب والمعاجم ألفاظاً فصيحة يظنّ أنها عاميّة تبين بعد استقصائهم لها في بطون الكتب القديمة أنها فصيحة ومن هنا يمكننا إدخالها في العملية الحوارية المتبادلة بين المعلمين والطلبة، وإدخالها في الكتب وتمثلها لنبعد الريب والخوف من اللغة العاميّة لأنّ " معرفة كنه العامية أولى – من رفضها – فالكلمة العامية إما صحيحة وإما محرّفة وإما لحق معناها شيء من التصرّف الذي لا تخلو منه كلمات دخيلة أو مرتجلة" ومن ذلك:

– إسكان آخر الفعل المضارع فهو محكي عن العرب.

– الوقوف بالسكون على الأسماء في حالة النصب وهو منسوب إلى قبيلة ربيعة

– حذف نون الرفع جائز.

---

(١) رمضان عبدالتواب: فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، الطبعة الرابعة، ص٤١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الوقوف على المنقوص بإثبات الياء مباح.

- حذف التنوين لكثرة الاستعمال مسموع.

- إجراء "اثنين" مجرى الجمع من سنن العربية.

- تخفيف الهمزة أو تسهيلها أو تحويلها ياءً وذلك منقول عن اللهجات.

- قلب الألف همزة وهو شيء مأثور عن قبيلة تميم(١).

وهذا مما يتعلّق في المداخلات على المفردات، ولعلّ مقاربة ادوارد مرقص أكثر جلاءً في المفردات وغيرها فالعامية تشترك في الفصحى في الأفعال مثل قام قعد أكل...

وفي الأسماء سما قلب جو صحو مطر...

وفي الظروف والحروف والأدوات: من عن في كيف على فوق ...

وفي العامية ألفاظ يظنّها السامع غريبة عن الفصحى، بعيدة عنها بعداً شاسعاً، وهي فيها معروفة غير منكورة ولا مهجورة، ومنها: تمزّع بمعنى تمزق، وشلّ الثوب لنوع من الخياطة وبعج وانبعج بمعنى شقّ، واشتلق بمعنى لمح بفكره، وبلص فلاناً بمعنى أخذ شيئاً من ماله... وبنيقة لجزء من أجزاء الثوب وصَوْبٌ بمعنى جهة...

ومن الجمل المشتركة بين العامي والخاصّي قولهم لأول وهلة:

فلان كريم في جنب أخيه أي بالنسبة إليه.

جاءنا من كل فج عميق.

وتقول طعم مِزٌّ والفصيح طعم مُز بضم الميم.

وعند العجب: قاتل الله فلاناً ما أحذقه.

---

(١) محمود تيمور: العامية الفصحى، مجلة العرفان، مج٤٥، ج١و٢، ١٩٥٧، ص١٨-١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن سنن العربية الفصحى الإتباع بحيث يقال: هذا شيء حسن بسن. وهكذا يقال في العامية: لا تقولوا في قهوة ولا مهوة..

أما بسبب داعي الاختصار مثلاً: كنتو طلعتو في كنتم وطلعتم... والتخفيف مثل: عندم عوضاً عن عندهم، وعندا عوض عندها.

وحذف الهمزة وتليينها يقولون: ردي، دوا، ضو، في رديء ودواء وضوء.

وفي الأعداد المركبة فيقولون: أربعتش خمستعش في أربعة عشر وخمسة عشر واللهجة المصرية تقول: أربعتشر وخمستعشر " أقرب إلى اللفظ الفصيح" وكرمالي في كرماً لي..

ومنه قولهم: ولاّ عوض، فــ إلاّ .. وقولهم وين فين، بدلاً من أين أو فأين.

تعمل كدا ليه؟ ليش بتعمل هيك، عوض (لم تعمل هكذا .. ملّيت، بدلاً من مللت، واستعدّينا بدلاً عن استعددنا.

فك الإدغام: مضادد عوض مضاد، وتحابب عوض تحاب.

الإعلال: قوم وخاف وبيع عوض قُمْ وخف وبع.

النحت: ليش، شو بدك من أي شيء وهو بودك، وأيش: من أي شيء.

والزيادة والإبدال: مثل خرمش في خمش وشقلب في قلب وشقدف في قذف ولحوس في لحس.

الإبدال: فتقول تلاثة تمانية في ثلاثة ثمانية.

هادا دهب في هذا ذهب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القلب: صه في هص، زوج في جوز.. وتنصت في تصنت[١]

" فالعامية بالنسبة إلى الفصحى على ضروب (من حيث الاستعمال):

- ألفاظ انفرَدَ العرب بها وتركها المحدثون إما لاستعمالهم مرادفها أو لأنها من الحوشي البعيد عن الطبع.
- ألفاظ استعملها العرب وخواص المحدثين ولم تعرفها العامة.
- ألفاظ للعرب فيها لغتان أو أكثر أخذت الخاصة منها ببعض والعامّة بآخر.
- ألفاظ استعملها قديمهم وحديثهم ولكنها لم تبتذل فكانت مصونة بألسنتها وامتهنت حتى اجتنبها الخاصة وأعرضوا عنها.
- وألفاظ صرفها العامة عن معناها إلى معنى مستكره، فتركت الخاصة استعمالها في معناها الأولى، لمكان الاستكراه في المعنى الثاني.

يقولون فزّ الولد وغيره فزّاً إذا قفز وفي اللغة الفزّ أن يجمع الصبي قوائمه ويثب حكاه ابن سيده في المخصّص غير مرّة والفز الخفيف ومنه استفزّه الأمر إذا استحقّه.

ويقولون أفز الماء والزيت إذا علا في القدر بالغليان ونحوه. وفي اللغة أفز يأفز إذا وثب ومثله أبز نفز عن أبي عبيد وكله بمعنى القفز وفي القاموس الأفز الوثب كأنه منقلب من الوفز"[٢].

---

(١) ادوارد مرقص: العربية العامية وعلاقتها بالعربية الفصحى، المجمع العلمي العراقي العربي بدمشق، مج١٨، ج ١، ٢، ١٩٤٣، انظر ص٣٠-٤٣.

(٢) أحمد رضا: الغريب الصحيح في العامي، مجلة العرفان، مج١٠، ج٢، ١٩٢٤، ص١٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذن، هناك علاقات بين العامية والفصحى هي التي ستقرّب الشقة بينهما ومع ذلك ليس بالضرورة أن نؤمن بكل ما ورد سابقاً لكن وجب علينا رفع وهم البعد بين العامية والعربية أو زيادة المسافة بينهما.

فهذه المفردات العامية السليمة منها والمُحرّفة وما أصابها من حذفٍ أو زيادة أو غير ذلك ستكون رؤية في الطريق لاتخاذ هذه المفردات وتصليحها أو ردّها إلى الفصحى بما أفسدته اللهجات المختلفة وتمثلها حوارياً وكتابياً فيكون هناك مزج بين المفردات والأساليب المعروفة بالسليقة مع ما يتعلّمه بتحوير بسيط يؤدي إلى التفاعل اللغوي بين المتحاورين.

لكن القضية تتابع إلى قرار آخر هام وهو تقويم اللّسان العربي المميّز بإعرابه لأن اللغة العربية " لغة تأليفية تعتمد الإعراب بالمفهوم اللساني الشامل الذي ينبني على تغيير أواخر الكلمات عند خروجها من المعجم، وحلولها في التركيب والإعراب يتوافر على آليات في إنتاج الدلالة لا تضاهيها آليات الألسنة غير الإعرابية كالفرنسية والإنجليزية... فالجهاز النحوي في اللغة الإعرابية العربية إيذان بخروج المعجم إلى التداول، وحلول المفردة في السياق، لأنه كشف للقرائن القائمة بين الألفاظ من داخل الأبنية ذاتها لذلك، كأنَّ المعنى وليد حيثيّات الاقتران بين الكلمات عندما تتوالى في سياق التعبير فضلاً عن أنه وليد مواقع الألفاظ في النسيج التّركيبي"[١].

فالأمر إن كان وسط جو من التعليم وجب حينئذٍ التكلّم بالعربية المعربة أما في الأحاديث الحوارية فلا بأس من التسكين ما دمنا في مرحلة من مراحل الانتقال إلى الفصحى مع تمييز لموقع الكلمة، ولا سيما عندما لا تظهر بالحركات أي بالإلحاق مثل ين(في حاتي النصب والجر) أو ون(في حالة الرفع للجمع) ... وغيرها.

---

(١) عبدالسلام المسدي: العربية وحقيقتها التاريخية، مجلة العربي، ع٥٢٥، ٢٠٠٢، ص٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أنّا ذكرنا سابقاً أنَّ لوسائل الإعلام دوراً في تصحيح الأخطاء والاعتذار إليها فيترتّب من المستمع أن يأخذها بعين الاعتبار وبذلك ينشأ الجمهور على تعلّم سليقي دون أن يعرف لماذا بل قل ولا تقل أو اسمع فصحّح أي التعلّم يكون " اسمع لتتعلّم فتصحّح " على(*) أنّ هناك كتباً تقوم بتصحيح لغة الصحافة المختلفة. وثمة دعوات تدعو إلى تيسير النحو العربي فبعد " التجربة الطويلة وبعد التحصيل والتأمّل والاستقراء، علينا أن نسلم بوجود خلل ملموس في فهم العربية وإتقانها أياً كان سببه أو منشؤه، حتى ولو لم نوافق على ما يرتؤون ويقترحون من النحو الوافي، والكافي، والشامل، والكامل، والواضح... لأن جوهر الفكرة في التيسير مأتاه الإقرار بوجود الصعوبة، وهذا الأمر من مجمله يمثل وجهاً من وجوه ضعف الأداء اللغوي"(١).

إنّ هذا التيسير لا يمكن غضّ الطرف عنه، فهو يعتمد على طريقة الأداء وطريقة إعطاء النحو الذي يجب أن يعتمد أولاً على النصوص، وقراءتها، مشكولة لفظياً في سياقها، وتراكيبها، حتى تؤدي به الدُّربة إلى اكتساب النحو اكتساباً عفويّاً نتيجة المطالعات الكثيرة، ووضع الشكل على الحروف في أواخر الكلمات، وبثّها في جميع المطالعات الأدبية، أو القراءة الذاتية غير (التعليمية التي وجب أن يؤخذ هذا بعين الاعتبار) والكتب العلمية وغيرها وكل هذا بدوره يؤدّي بالطالب أو القارئ إلى اكتشاف الأخطاء وتصحيحها بما اعتادت عليه سليقته الواعية.

لذلك وجب " تحصيل الملكة اللغوية بالتلقين الفطري وهي مرحلة أساسية في منطلق التكوين... فإن على المعلم في السنوات الأولى من المدرسة أن يقوم مقام الأم في عملية التلقين الفطري، وتلك عملية تستبعد في منهجها تدريس القواعد النحوية والصرفية وشرح الكلام

(*) منها نعمة رحيم الغزاوي: التعبير الصحيح، بغداد، دار الشؤون الثقافية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ومصطفى جواد: قل ولا تقل، دار المدى للثقافة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨٨.

(١) مسعود بوبو: مشكلة الأداء في اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٩٧، مج٧٣، ج٣، ص٥٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالكلام، إنما قوامها الصبر على المحادثة المبسّطة، والعناية بتسجيل المعاني والألفاظ في ذاكرة التلميذ وحمله على تثبيتها واستعادتها بصيغ مختلفة.

وقد يكون مقياس الوصول إلى السليقة حينما نلاحظ رغبة الطفل بالحديث دون طلب أو استشارة لأنه يشعر حينئذٍ أن هذه اللغة هي لغته هو"[١].

وكل هذا لا يغنينا عن ذكر التوالي والتتابُع في المطالعة والحوار باللغة العربية **فالحوار هو المشاركة في الأداء اللغوي وتبادله** بـــ" الممارسة والتكرار بفهم بحيث لا يمكن أن تتكون المهارة اللغوية لدى المتعلم من غير الممارسة الواعية والطبيعية للغة وفي مواقف الحياة، إذ إنّ للتكرار أهميته في تكوين المهارة اللغوية، على أن يكون مبنيّاً على الفهم لا على التردُّد الآلي إذا مُورست المهارة من غير فهم أضحت آلية لا تعيد صاحبها على مواجهة المواقف الجديدة وحسن التصرّف فيها وإذا تكرّر استخدام المهارة تحوّلت إلى عادة، إذ إن العادة تتكون نتيجة الإعادة المتكررة لمهارة من المهارات"[٢]. وهذا ما قرّره ابن خلدون عندما قال "تحصل هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال"[٣].

فهذه الملَكة أو المهارة التي يتحصّل عليها الطالب عن طريق امتثالها حواريّاً (مشافهة عن طريق السماع) للتحاور بالفصحى وما لحفظ النصوص من أثر بالغ في تشكيل الرؤيا في اكتساب اللغة، فعملية المحاورة الطلابية يجب ضبطها في أثناء القراءة ثم تحقيقها في أثناء الكتابة الخالية من الأخطاء أو التراكيب غير الصحيحة.

---

(١) محمد المختار ولد أبّاه: ضعف الأداء في اللغة العربية أسبابه وعلاجه، مجلة مجمع اللغة العربية، المرجع السابق نفسه، ص٥٧٨.

(٢) محمود السيّد: الأداء في اللغة العربية، المرجع السابق نفسه، ص٥٨٧.

(٣) ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، مهد لها علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ج٣، الطبعة الثالثة، ص١٢٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويضاف إلى هذا " إثراء الحافظة لدى الناشئة بالأساليب البليغة والآثار الفصيحة وفي مقدّمتها، بلامراء، القرآن الكريم الذي ينبغي أن يكون مصدراً لسلامة الفكر، ومنبعاً لصحّة النطق، ويقفوه في ذلك الحديث الشريف، ثم وصايا الحكماء وخطب البلغاء وأشعار الفحول"(١).

ونرجع إلى القول: إن العلم ينبغي أن يكون موفّراً للجميع، وأن لا يكون بمعزل عن ظروفه المحيطة، فعلينا أن نفيد من التقنيات الحضارية، من حاسوب، وأجهزة مرئية للتعليم، وكل ذلك لتشكيل التربية اللغوية وتعزيزها بالطرق الحضارية.

كان لانتشار الجامعات أثرٌ في "التوحد اللهجي إذ إن تعميم التعليم فتح باب الجامعات للجميع وبهذا أصبحت مجالاً لاختلاط أبناء الطبقات المختلفة على اختلاف لهجاتهم، وقد نتج عن ذلك أن تحطّمت الفروق اللغوية داخلها ونشأت لغة موحّدة"(٢).

وهذا الاعتبار الجامعي الذي يدخل ضمن ما سينجزه " تعريب التعليم كفيل بأن ينهي الكثير من ضروب الاغتراب التي تعتمل فينا وفي مقدمتها الاغتراب عن ذاتنا، وعن لغتنا، وكل ما يتعلّق بهذه الحال من مشكلات تعليمية وتربوية سياسية وغيرها"(٣).

وعليه: فإن العملية التعلّيمية لا تقف فرادى عند دور الأسرة أو المعلّم وغيرهما بل تتضافر جميعاً من تربية وأسرة وحضارة، وكلّها يقع عليها مسؤولية التردّي نتيجة السلوك غير الموجّه، وغير المنضبط، وكلها تقع عليها الجهود المنشودة بالانضباط، والتوجيه، فعلينا إيجاد انسجام في الأداء اللغوي الجامع بين الوسائل التعليمية والإعلامية.

---

(١) محمد محمود الدش: اللغة العربية أطول لغات الأرض عمراً...، مجلة العربي، ع١٤٥، ١٩٧٠، ص٧١.
(٢) محمد السيد علي بلاسي: اللهجات العامية، كيف نوحّدها، المجلة العربية، ع١٢١، ١٩٨٧، ص١٠٣.
(٣) محمد حسن إبراهيم: نحن واللغة والعصر، مجلة دراسات، مج١٤، ع١٠، ١٩٨٧، ص٣٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن ما للوسائل الإعلامية المختلفة، وما لانتشار البرامج الثقافية باللغة العربية، وتعميم التعليم من أثر، قد أسهما في نشر المعرفة والثقافة " فالانطلاق من مبدأ التكامل، والأخذ بالنظرة الشمولية، يتطلبان التأكيد على ضرورة إيجاد استراتيجيّة موحّدة لأجهزة الإعلام، ونظم التعليم، على المستوى القومي والمستوى القطري، في مجال تنمية ثقافة جماهيرية أصيلة، ونشر لغة عربية صحيحة موحّدة، وهذا يعني إيجاد جوّ من التعاون والتنسيق بين النظام الأم المتمثل بالمدرسة بصفتها المؤسسة التربوية النظامية، وبين وسائل الاتصال الجماهيري، بصفتها أجهزة ثقافية معززة ومدعّمة للعمل التربوي النظامي المباشر"(١).

ولا شك في أنَّ اللغة هي علاقة قائمة بين التعليم والإعلام، وما زالت علاقة رابطة في إطار تكامل واحد وبأدوات حديثة لم تنفصل العلاقة فيما بينهما عن سياقها اللغوي القديم، فتكلّم العربي بها مستفيداً من ظروفه واستغلالها، والأحرى بالعلاقة بين التعليم والإعلام المرتبطة بوسائل النهضة أن تنسجم وتتكامل تطبيقاً فعليّاً لسلوك أقصر الطرق لتحقيق رؤى التكلم بالفصحى فيكون الواقع متوازياً مع أهداف العمل الجماعي في بؤرة واحدة.

(١) مسارع الراوي: مقال بعنوان: وسائل الاتصال الجماهيري ودورها في نشر لغة عربية صحيحة، اللغة والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤، ص٨٨-٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإعلام والتعليم في خدمة الفكر ووحدته

وكل ما تقدّم يؤكّد لنا أن الفكر ارتباط بوشائج الإعلام وأنواعه المختلفة وبالتعليم ومراحله وتوابعه، ففي وحدة هذه التخطيطات الإعلامية والتعليمية والتربوية تحقيقٌ لمتطلب "توحيد الفكر العربي " لأن توحيد الوسائل الإعلامية والثقافية والتعليمية وتعزيزها بالتراث هو توحيد للعلاقة القائمة بين هذه الوسائل والفكر العربي. لأننا رأينا أن الدعوة إلى العامية كانت تهدف إلى تدخّلات في التراث ووسائل الإعلام والتعليم والتبشير وغيرها.

فالفكر هو "الظاهرة" العميقة الناتجة عن ترسّبات سابقة لما للوسائل الإعلامية والتعليمية من قوى في تشكيل الرؤيا المستقبلية، وهو القالب المختار في نهاية الأمر من ثقافات ورؤى سابقة نحو لغة تنبثق من مقدمات، إلى لغة ذهنية تتحول إلى فكر لغوي، تطبيقي، للمقدمات السابقة، وكل هذا ينبني على الإيمان بوجود تخطيط لغوي متدرج يؤمن بأصالة الفكر اللغوي قديماً متمثلاً بالعقيدة الدينية، وارتباط اللغة بها، وفقاً لمتطلبات الوعي العربي لها.

والإيمان بتخطيط مستوعب، ومنضبط، يصل إلى الإيمان بالفكر الواحد عن طريق تقارب الوسائل الإعلامية، والتعليمية، وتحت إشراف قرارات سياسية [رادعة] توجب التفاعل في إيصال الفكر، ولا سيما الفكر اللغوي، وانصهارها في غاية تقريبيّة للهجات العربية لجعل " لغة الفكر ولغة الحياة واحدة"[١]، من خلال تكثيف تقاليد الثقافة والفكر المنضبطة، والرغبة في الترابط اللغوي العربي " تشير المسلّمات العلمية في المجال الأناسي إلى أن اللغة الرسمية هي

(١) تقرير لجنة الفصحى والعامية: مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج٧، ١٩٥٣، ص٢٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقوم الأول والأساسي في تشكيل الهوية الحضارية لأي أمة من الأمم، وأن أي تدهور يصيب اللسان يعرقل حتماً مسار التطور الفكري والعلمي للمجتمع"(١).

واجبنا نحو العربية:

أن نتكلمها والثاني أن نكتبها، ومن خلال هذا المبدأ كانت لنا الكتابة (في العصر الحاضر غير متمثلة بشكلها السليم، وهذا، في الوقت نفسه، اضطراب فكري في التمثّل اللغوي الجاد.

" إنّ البنية اللغوية أو التركيب اللغوي هو الذي يحدد الفكر"(٢). لذلك وجب علينا أن ننظر إلى اللغة التعليمية والإعلامية، والمسرحية، لأن العامية تجب مقاومتها (غير الفصيح منها) والدعوة إلى توجيه أو تفصيح العامية في الخطاب المسرحي، والأدب الشعبي، لأنها " انحراف بأدب الفصحى وتدلّ بفكر الشعب بدل العمل لتهذيبه، ويدعم ذلك طبيعة اللغة العربية التي يكثر فيها السهل الفصيح"(٣).

وبفضل العلم والتعليم المبني على الفكر الواحد، وتذليل صعوبات الاتصال الحضارية والإعلامية والتعليمية، ستكون هناك رؤى تبشّر بالتقارب اللغوي العربي نحو اللغة المشتركة الواحدة، وبالوسائل نفسها لقرب متناولها للجميع، لكن لا توجّهها إلا الإرادة الجادة نحو توحيد العمل الجاد "وإنما تبتعد اللغة المحكية، أو تقترب، من اللغة الفصيحة، تبعاً لانتشار الثقافة والمستوى العلمي والفكري في شرائح المجتمع العربي وبيئاته"(٤).

---

(١) حلام الجيلالي: العربية المعاصرة في مواكبة مستجدات العصرنة، مجلة الفيصل، مج٢٦، ع٣١٠، ٢٠٠٢، ص٢٩.

(٢) عاطف مدكور: علم اللغة بين القديم والحديث، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص٥٠.

(٣) سيد نوفل: الأدب الشعبي وهل هو مناهض لأدب الفصحى وحركة القومية، مجلة الهلال، ع١٢، ١٩٧١، ص٧.

(٤) عبدالكريم خليفة: المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة في العصر الحديث، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، مج٢٢، ع٥٥، ١٩٩٨، ص١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعجم العربي المُوحَّد(*)

اختلفت حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث عما كانت عليه في القديم، فقد كانت تتمثل في وضع كتب تعالج اللحن، فتعين الأخطاء وتشير إلى الصحيح، أو مجالس وأمالي يرد فيها المخطئ إلى الصواب. لكن القضية في العصر الحديث تختلف عن ذي قبل، فلم تعد متمثلة في تبيان الخطأ وإعطاء الصواب مثل كُتب "قل ولا تقل" لمصطفى جواد، والعربية الصحيحة لأحمد مختار عمر، ومعجم الأخطاء الشائعة لمحمد العدناني، "والأخطاء الشائعة والفصحى" لجلال علامة (انظر مجلة العرفان مج٧٧ ع ١، ٢، ٣–٤، ١٩٩٣) بل نُظِرَ إلى مشاريع التفصيح بطرق أخرى.

فالموقف اللغوي العربي تغيّر بسبب الظروف الاستعمارية حيث كانت اللغة تحت تأثيرها، فأخذ الدارسون يدرسون اللهجات العربية ومفرداتها دراسة فردية لكنها بعيدة عن نظرة الريب والتخوف، فكانت الدراسة ليست لأجل اللهجات بل لإيجاد الطريق إلى تفصيحها أو ردّها إلى الفصيح، وإما أن تكون فصيحة غير مستعملة (في الكتابة) ظناً منهم أن هذه الألفاظ عامية غير فصيحة نتيجة استعمال العامة لها، أو أن تكون محرفة من زيادة حروف أو نقصانها أو حذفها أو قلبها أو إبدالها فقاموا بردّها إلى الفصحى بعد تصحيحها، أو أن اللفظ كان فصيحاً فطرأ عليه تخصيص الدلالة أو تعميمها أو استعمال المجاز والتشبيه.

(*) أطلقنا على الجهود نحو الفصحى مصطلح المعجم العربي الموحد لأنه يتناول المفردات العربية أكثر من الأساليب العربية التي كانت في أكثر المشاريع نحو التفصيح، مع أنها كانت فردية، وقد أخذنا هذا الاسم من مقال بعنوان المعجم العربي الموحد للدكتور عبد الكريم خليفة، في مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني، مرجع سابق. وتحت هذا العنوان أيضاً: نحو معجم موحد لألفاظ الحياة العامة للدكتور إسماعيل عمايرة، عمان، دار وائل، ٢٠٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعضهم انتحى طريقاً آخر في تفصيح العاميّة، وذلك من خلال استبقاء السليقة العربية وطرائق العربية القديمة وبقايا الفِصاح. ونظر آخرون إلى طريق يرمي إلى جمع الألفاظ المشتركة بين البلاد العربية في معجم صغير، وتتابعت البحوث في المفردات العامية، وتفصيحها، في معاجم كبيرة تعتمد على ما صنّفه السابقون من بحوث أو دراسات، وجمعها، والإضافة عليها مع الاستشهادات من القرآن والحديث والشعر.

وآخرون أخذوا يجيزون الأساليب والتراكيب تبعاً لحجّة لغويّة لهجبّة أي إيجاد أيّ وجه يسوغ التركيب ولو كان شاذاً.

وقد قمنا برد بعضها بالتحليل والنقد وتتبعناها زمنياً، عدا عن بعض المشاريع التي أخّرناها لأهميتها في عملية التحول " نحو تفصيح العاميّة " مثلاً: مشروع أمين فكري، فهو أوّل من طرح الفكرة التي قام عليها مشروع نهاد الموسى.

ثم نظرنا إلى الفصحى المعاصرة مشروعاً للتحول مستفيدين من التجارب السابقة. وما زال العرض مفتوحاً نحو مقاربة لغوية تهدف إلى التحول نحو الفصحى، مستفيدين من معطيات هذا العصر الحضاري والعلمي، فضلاً عن الدراسات السابقة، ليكون المشروع في تواصل فكري واحد يصب في دعم الحلم اللغوي في اطراد نموذج فصيح.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دراسة العامية في القرن الحادي عشر:

ففي كتاب (القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغة العرب)[*] للشيخ محمد بن أبي السرور الصديقي "من أعلام القرن الحادي والعشرين" الذي " ذكر فيه ماله أصل في اللغة العربية من الألفاظ الناطق بها أهل الديار المصرية مرتباً ذلك على ترتيب القاموس. ومن الأمثلة على ما قام به:

يقولون: أومى، قال: في المجرد لا يقال أومى، وإنما يقال أومأ، أي أشار إليه "قلنا ويقول العامة في الشام كلم فلاناً بالوَمى أي بالإشارة".

ويقولون لقاصد القلعة: باباً، وفي اللغة باباً: الرجل إذا أسرع، فيمكن أن يكون البابا منه لأنه يسرع لقضاء الحاجة.

ويقولون للولد الصغير إذا أراد المشي: تاتا، قال في القاموس: تاتا الطفل إذا مشى، والتبختر في الحرب.

ويقولون عند سقي القهوة جبا وهي قرية باليمن يصير فيها البن الصبري، وهو عجيب في الحسن، فكأن الساقي إذا قال جبا أي هذه قهوة بن جبا.

ويقولون: يا ما عمل، له أصل في اللغة وهو في باب التعجب.

ويقولون: حوبة، قال المجدي: معناه الضعيف عن الشيء، والحوبة: البنت، والأخت، ورقة الفؤاد، الأم، والهم، والحاجة، والمرأة، والسرية، كل ذلك يقال له حوبة.

(*) وقال فيه الصديقي " وقد كان منتقى من كتاب رفع الأصر عن كلام أهل مصر للعلاّمة الكامل الشيخ يوسف المغربي" "أسهب فيه غاية الإسهاب، باستطراده إلى بعض الألفاظ اللغوية التي ليست من شروط الكتاب، مع ذكره أشعاراً وحكايات من قسم الاستطراد، ولا معنى لها في هذا التصنيف، ولا مدخل لذكرها في هذا التأليف، فخطر (للصديقي) أن ألخص من محاسنه، والتقط دره من مكامنه، ولم أذكر فيه من اللغة إلاّ ماله أصل في اللغة العربية ...".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقولون: سبَّبَ، قال بعض أئمة اللغة، أي: باع واشترى في الشيء.

يقولون: شقلبه، أي: غيّره من حال إلى آخر!

ويقولون: طبطب، قال في القاموس: الطبطبة صوت الماء، وصوت تلاطم السيل، وطبطب صوَّت.

ويقولون: فلان هفت من الجوع، أي: سقط، ومنه تهافت الفراش في الفتيلة أي: تساقط، فكأنه لكثرة جوعه يسقط، كذا نقله بعض أئمة اللغة.

ويقولون: فلان نِتّيف، وأعطاني نتفة، وكلاهما صحيح لغوي، إلا أنهم يحرفونها فيكسرون النون، والصحيح الضّم، قال بعض أئمة اللغة نتف ما تنتفه بإصبعك من شعر أو نبت، والنتفة: الشيء اليسير..." (١) .

إنّ هذه الدراسة للمفردات العامية في القرن الحادي عشر محاولة مقاربة العامية إلى الفصحى، إما بردّها، أو بتقاربها المجازي البعيد أو القريب، أو ما يدور حول المفرد.

وعلى هذه التحقيقات اللغوية بنى اللاحقون في رد العامي إلى الفصيح كما سيظهر لنا من بعض المقاربات للغة الفصحى، وقبل الخوض في ذلك يمكننا أن نرد فكرة هذه الردود إلى الفصيح إلى ابن الجوزي (ت ٥٩٧) ومن قبله الدراسات اللغوية عند دراسة الأخطاء وتصويبها لكن ليس بالطريقة نفسها، يقول ابن الجوزي:

" ... فقد أفرد قوْم ما يلحن فيه العوام، فمنهم من قصّر، ومنهم من ردّ ما لا يصلح ردُّه، فرأيت أن أنتخب من صالح ذلك ما تعم به البلوى دون ما يَشِذُّ استعماله، ويندر، وأرفض من الغلط ما لا يكاد يخفى"(٢).

---

(١) نقلاً عن: العامية من الفصحى، مجلة المقتبس، مج٣، بيروت، ١٣٢٦ – ١٩٠٨، ص٤٧٣-٤٧٦.

(٢) ابن الجوزي: أبو عبدالرحمن (ت٥٩٧)، تقويم اللسان، مرجع سابق، ص ٧٣- ٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن الأمر لم يقتصر في عصرنا على الألفاظ، " فقد دعا طنطاوي جوهري إلى أن اللغة المصرية عربية صحيحة (في معظم مفرداتها) وأورد مئتين من ألفاظ العامة التي يهملها الكتاب زاعمين أنها مبتذله، مع أنها عربية فصيحة، واستشهد على صحتها بكتب متن اللغة واستعمالها في القرآن، والحديث، وأشعار العرب الموثوق بعربيتهم.

واقترح العمل على التوحيد اللغوي برد الألفاظ العامية إلى أوضاعها الفصيحة، وإدخال الإعراب على سبيل التدريج وإصلاح المنحرف، واستبدال الأصيل بالدخيل قدر الإمكان، واستيعاب الألفاظ المستعملة في لسان التخاطب، وجمعها في قاموس بعد أن ترد إلي أوضاعها الفصيحة، وتنشر بين الطبقات المتعلمة حتى تحل ملكة اللغة بالتدريج، وتنبأ إذا شُرع في هذا العمل وسارت خطواته على ما رسم فلن تمضي عشر سنين حتى تصير لغة الكلام لغة التحرير"[١].

وانتحى هذا السبيل نعوم أفندي مكرزل " صاحب جريدة الهدى اليومية في نيويورك" حين دعا إلى أن " يُرد الكلام المدعو عامياً إلى أصله الفصيح، ويعدل عن التقعّر إلى السُّهل المقبول" كما لاحظ أن بعض الناس " يتوهم أن كل كلمة يقرأُها ولا يفهم معناها من " الحوشيّ والوحشي" وأن كل ما تداولته ألسنة العامة ساقط يجب الترفع عنه، وتكون الكلمة التي لا يفهمها من أبلغ ما جرت به أقلام المنشئين، والشعراء، إلاّ أنه لم يُطالع لِيُعلم ولا تُحري ليُفهم" " ويكون بعض ما تداولته ألسنة العامة من بقايا أفصح اللغات العربية التي اعتورها التصحيف، والتحريف، وقليل من البحث يرجعها إلى أصلها" فمثلاً يورد الأمثلة التالية:

---

(١) نقلاً عن: محمد خلف الله أحمد: مستقبل الفصحى، البحوث والمحاضرات للدورة الرابعة والثلاثين، مجمع القاهرة، ١٩٦٧-١٩٦٨، ص٢٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" توّا " اسأل عجوزاً أو شيخاً أن يدلك على بيت أو طريق في لبنان فيقول لك اذهب توا، ويشير بإصبعه، والكلمة فصيحة من قولهم جاء توا أي قاصداً لا يعرّج على شيء.

الفُرْن: بالضم المخبز والفرني اسم الخبز غليظ مستدير ينسب إلى موضعه أو الفرني خبزة محدودة الرأس مضمومة الجوانب إلى الوسط يسلك بعضها في بعض تشوى ثم تروى سمناً ولبناً وسكراً واحدته مزنية والفارنة الخبازة لهذا الفرني والفرّان كشداد بمعنى الخباز عامية"(١).

وعلى هذا النهج سار إبراهيم المازني طارحاً السؤال الاستنكاري: ألفاظ صحيحة فلماذا لا تستعمل ..؟ أي في العامية العربية مشيراً إلى ألفاظ الطعام وما إليه:

" الدقّة: الملح مع ما خلط به من الأبزار أو الملح المدقوق.

الكباب: اللحم المشرّح.

السُّفرة: المائدة.

القصعة: الجفنة.

السُّخام: السواد الذي يكون على آنية الطبخ من فعل النار.

الطاجن: إناء من خزف يقلى فيه الطعام.

الهبرة: من اللحم البضعة لا عظم فيها وهبر اللحم اقتطع منه قطعة كبيرة.

البرطمة: كلام الغضبان"(٢).

---

(١) انظر سليم الجندي: الإرشاد إلى الفصيح، مجلة العرفان، مج٩، ج١٠، ١٩٢٣، ص٨٩٤ – ٨٩٧، وانظر في المجلد نفسه ص٥٨٠–٥٨١، ٥٨٧، ٦٨١، ٦٨٨.

(٢) إبراهيم عبد القادر المازني: العامية والعربية، مجلة الرسالة، ع١١٨، ١٩٣، ص١٦١٦، وانظر أيضاً في الرسالة ع١٢٠، ١٩٣٥، ١٦٩٢–١٦٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما حقّق شفيق جبري بقايا الفصاح أيضاً في ذكره الألفاظ العامية الفصيحة، وكان اعتماده على القاموس المحيط للفيروزابادي فمنه ما حافظ على معناه الحقيقي، ومنه من ما دار حول المعنى، أو تقارب، أو تباعد، واجداً مسوغاً لبقايا الفصاح مثلاً:

" من بقايا الفصاح: باخ الثوب وهم يريدون بذلك ذهب بريقه، وفي اللغة باخت النار أي سكنت، فالمعنيان متقاربان، إلاّ أن العامة عدلت عن حقيقة معنى هذه المادة إلى المجاز فيها فالنسبة بين ذهاب بريق الثوب وبين ذهاب لهيب النار واحدة، وقد وردت هذه المادة في شعر نهشل بن حرى الدارمي(وهو شاعر مخضرم توفي ٤٥هـ):

ويومٍ كـأنَّ المُصْطِلين بِحَرّه | وإن لم تكنْ نارٌ قيام على الجَمْرِ
صَبَرْنَا لها حتّى "تبوخَ" وإنمّا | تُفَرَّج أيـامُ الكـريهـةِ بالصَّبْرِ[1]

فقد كانت متابعاته تحقيقات لغوية لمفردات عامية بغض النظر عن معناها الأصلي، وهكذا سار من نظر إلى المفردات العامية (العربية).

ونظر ادوارد مرقص إلى الألفاظ العامية من عدّة وجوه " ذكرنا بعضاً منها عند حديثنا عن التعليم" وعلاقتها بالفصحى:

من حيث التذكير والتأنيث: أن العوام يؤنثون الماء والنار والبلد والميناء وهي مذكرة ويذكرون الكتف والكرش والكبد والساق والقدم... وكلها مؤنثة وفي الجمع توهموا جلال بكسر الميم مفرداً وجمعوه جلالات مع أنه جمع ومفرده جل.

أو مخالفة الصيغة الصحيحة أن يقوم مقام أفعل المتعدي، فيقول العوام تلف فلان الشيء عوض أتلفه، وهنت فلان وعنت أي أهنته وأعنته وكرمته وعطيته عوض أكرمته وأعطيته.

(١) شفيق جبري: بقايا الفصاح، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ج٣، م١٧، ١٩٤٧، ص٤ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واتخاذ الفعل عوض المجهول من فعل وفي أزمنة الفعل ومشتقاته فيقولون: منحرم عوض حُرم ومحروم.

هذا كرسي مخلّع: لا ينقعد عليه عوض لا يقعد عليه

وهذا دَرْبٌ صعب ما بينمشي فيه عوض لا يمشى فيه.

ومنها اختلاف الصيغة:

يقولون في انكسر اتكسر، وفي انقسم اتقسم، وفي التهى أتلهى، وفي يحترق يتحرق، ومحشي ومقلي عوض محشو، ومقلو، ومهيوب، ومبيوع، عوض مهيب ومبيع.

مشاركة العامية في كثير من نواحي البيان:

مثل القصر والحصر: هيك بدك – عليك المسؤولية الفصيح اللهم أنت الحق– وإياك نعبد إنما أنت منذر ولكل قوم هاد.

ومشاركته في الاستفهام الاستنكاري: تقول العامة: كيف ينسى غرضك، وأنا مستعد لكل خدامة وقول الفصحاء: هل عند رَسْمٍ دارس من مَعوّل.

ومشاركته في الإيجاز تقول العامة: دخلك أو دخيلك أي أنا داخل عليك لا جئ إليك، وفي الفصيح قول المتنبي[١]:

قالت وقد رأت اصفراري من به وتنهدت فأجبتها المتنهد

ومشاركته في الإطناب والبيان والتشبيه والمجاز:

مثل إجا قبل اللُمع، صمد قدامهم مثل الجبل، هجموا عليه مثل السباع، عشنا في الحرب عيشة زفت، جبالنا تسحب عشرة آلاف بارودة.

---

(١) ديوان المتنبي: شرح أبي البقاء العكبري، ج١، ص٣٢٧، ضبطه مصطفى السقا وزملاؤه، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الأمثال (العامي): اللي بياكل العصي ما متل اللي يعدّها

الفصيح: يغيظني وهو على رسله والمرء في غيظٍ سواه حليم

خُذْ من الحُزمة عود، واترك الباقي للقرود.

كل حركة فيها بركة"[١].

إن من ينظر في هذه الأمثلة المتقدّمة يجد أنه قد قارب من التفصيح ثم يتباعد عنه متوهّماً في بعض التراكيب أنها عامية وهي فصيحة مع بعض تعديل في الحروف من زيادة أو حذف فيعطي المقابل الفصيح له وما البأس في القول: دخيلك وهي فصيحة عوض ذلك البيت المُعطى، أي لِما لا يُفَصّح العامي بالمقابل الفصيح.

وفي هامش نوادر أبي زيد قال أبو الحسن: وقع في غيْثَرَة شر وعومرة شر وعصوا دشر إذا وقع في اختلاط، ويقال: وقع في دُوكة وبوكة مثله، ووقع في فرّه وأفرّه مثله، ويقال: وقع في وادي تُفلّس، ووقع في وادي تُضلّل، بفتح اللاّم وضمّها في الأخرى، ووقع في وادي تَولّه إذا وقع في الهلكة، والاختلاط، وأما المطووش ففصيحه المدوش قال الفراء: كما جاء في لسان العرب المدوش المتحيّر"[٢].

وسار محمد كرد علي في رد العامي إلى الفصيح تحت عناوين (الفصيح والمولد في كلام أهل الغوطة) على طريقة العاملي[٣].

---

(١) انظر ادوارد مرقص: العربية العامية وعلاقتها بالفصحى، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مج١٨، ج١،٢، ١٩٤٣، ص١٥٥-١٧١.

(٢) أبو زيد الأنصاري: النوادر في اللغة، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٨١، ص٤٠٦ .

(٣) محمد كرد علي: الفصيح والمولد في كلام أهل الغوطة، مجلة المجمع العلمي العربي، مج ١٩، ج٣،٤ ١٩٤٤، انظر كذلك في المجلد نفسه ج ٥ و ٦ و ج ٧ و ٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يبتعد كثيراً سليمان محمد سليمان عن الدراسات السابقة بغية تقريبها من الفصحى في كتابه "العامية في ثياب الفصحى» فتتبع الألفاظ العامية وخصائصها وكل ذلك لأجل «إنهاض اللغة العربية حتى تكون لغة المدرسة والمحكمة والسوق والمنزل" ولا يتم ذلك إلا "بدراسة العامية وعقد الصلات بينها والتزام الكتاب والمعلمين والمؤلفين كل لفظ صحيح في العامية يشيعونه بين الناس حتى يأنس أهل العربية إليها وحتى يَزول الوهم من رؤوس الخاصة والعامة أن اللفظ لا يكون عَرَبياً إلا إذا كان بعيداً عن العامية" وقد اتخذ لذلك "أمثلة تمهيدية من أمثالها وحكمها بعد تصحيحها لكل قاعدة حتى يقوم في الذهن أننا نتكلم لغة فصحى دخلها بعض التحريف، أو علقت بها بعض اللهجات العربية البائدة" وتحقيقاً للغاية التي أرادها وهي "تقريب العامية من الفصحى". عمل على "جلوها في ثياب عربية فصيحة فمثلاً طويل اليد يكنّى عن السرقة في عصرنا وأما في عصر البعثة المحمدية زيادة الفضل في السخاء"[١] .

فاتخذ الأسلوب البلاغي لتحقيق الغاية التقريبيّة بين الفصحى والعامية في أكثر مقاربة من أدوارد مرقص.

لكنّ هذه المقاربات البلاغية لا تدعونا إلى ما دعا إليه أحدهم (لم يذكر اسمه) صراحةً إلى تعريب جل ما لا يخالف "الأصول التي يجب أن يرجع إليها في ذلك، وهي الأصول النحوية والصرفية والبلاغية، فكل كلمة لا تخالف شيئاً من هذه الأصول عربية مقبولة، وكل كلمة لا توافق من هذا شيئاً عاميّة" وقام بالردّ عليه عبد الحميد عنتر مؤكداً: " أن كل كلمة ستصبح فصيحة إذا أعدناها إلى وزن، وَصَرْفٍ، وبلاغة"[٢] وبذلك تكون كل كلمة عامية تقف على مبدأ

---

(١) سليمان محمد سليمان: العامية في ثياب الفصحى (بلاغتها أمثالها خصائصها)، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ص١١ ــ ١٣.

(٢) انظر تحت عنوان ضبط الخلاف بين العربية والعامية، مجلة الرسالة، ع٥١١، ج٢، ١٩٤٣، ص٣١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعميم الفصيح لمن جاء بمفرد أو أسلوب بلاغي ولو كان متوغّلاً في العامية، فهذه النظرة نظرة "حلّ العُجالة" لا نظرة تفحيص وتفصيح.

كما سار شفيق جبري إلى إثبات المفردات الفصيحة تحت عنوان "بقايا الفصاح"(١).

وفي نتائج دراسة "أصول ألفاظ اللهجة العراقية" لمحمد رضا الشبيبي يرى أن الألفاظ العربية المولّدة نوعان:

١. ألفاظ تستعملها الشعوب العربية كلّها أو جلّها في لهجاتها ولا ذكر لها في المعجمات، وهذه تدعو الضرورة إلى النظر في قبولها، لأن اتفاق أبناء الأقطار العربية على استعمالها دليل على أنها عربية الأصل وإن غفلت عنها كتب اللغة.

٢. ألفاظ لا تستعمل إلا في قطر واحد، فإذا كانت تدل على معان ولم يوجد في اللغة ما يحل محلها، نُظر في إدماجها بمتن اللغة، أما إذا وجد في الفصحى بديل عنها أخذ به وأُذيع على ألسنة المتكلمين وأقلام المترسّلين"(٢).

وهــذا الأمر بحاجة إلى درس لهجي جامع للألفاظ المستعملة في الأقطار العربية وإحصائها.

وما زال الأمر يدور حول الألفاظ العامية وتصويبها اعتماداً على تفسيرات تردّ الاعتبار لهذه العامية، وذلك فيما أثبته عبد القادر المغربي معتمداً على سليقة العربي القديم. وبقايا سليقة العربي الحاضر فمثلاً:

"في الفصحى يقال: قطع، استطالوها فاختزلوها، وقالوا: فقط.

---

(١) شفيق جبري: بقايا الفصاح، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ج٣ ،٤، مج ١٧، ١٩٤٧.ش

(٢) محمد رضا الشبيبي. أصول ألفاظ اللهجة العراقية القسم الأول، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة، ج ١٣، ١٩٥٧، ص ١١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زحل: استطالوها فاختزلوها وقالوا زح، وفي كتب اللغة "زحل الرجل عن مكانه تنحّى وزحه عن مكانه إذا نحاه عنه".

رَصف: استطالوها فاختزلوها وقالوا رص "وفي كتب اللغة رصّه: ألصق بعضه ببعض قال تعالى: (كأنه بنيان مرصوص).

هم قالوا قطع ثم ساقتهم سجيتهم إلى استطالتها فعدلوا عنها إلى.. قط هذه السجية نفسها انتقلت إلينا من حيث لا نشعر، وجعلتنا نحن العامّة نستطيل صيغ بعض الأفعال السالمة الفصيحة، ونحولها إلى أفعال مضاعفة غير موروثة عنهم، ولا يعرفونها، طبق ما فعلوه حتى إحداث التغيير والتبديل فيها.

استطلنا فعل (تفل) فاختزلناه وقلنا (تفّ) كما قال العرب قديماً بتٌّ عوضاً عن بَتَرَ.

أما فعل تفّ الذي هو بمعنى تفل تماماً أي البصق الخفيف فدخيل مولد ولدته العزيزة الموروثة المستقرة في طيّات نفوسنا معشر العرب.

وكذا في بصر به استطالها العامة فاختزلوا منها بصّ.

قحب استطالها العامة فاختزلوا منها قح.

طمر: استطالها العامة فاختزلوا منها طمّ وفي كتب اللغة "طمر الشيء دفنه وخبأه تحت التراب والمطامير جمع: مطمورة وهي حفرة تحفر في الأرض تخبأ فيها الحبوب، وعامتنا تقول طم الشيء بالمعنى نفسه، وليس (طم) في اللغة الفصحى بهذا المعنى أي معنى الطَّمْر وإنما تجيء بمعنى غمر الشيء بالماء وبمعنى ملأ الحفرة بالتراب ثم دكها فسواها وطمت الجارية شعرها جزته"[١] .

---

(١) عبد القادر المغربي، تصويب كلمات شائعة في اللغة العامية لا وجود لها في اللغة العربية، مجلة المجمع اللغة العربية القاهرة، ج ٩، ١٩٥٧ ص ٩٧ – ٩٩. وانظر: المجمع العلمي العربي، بدمشق، مج٢٨، ج٢، ١٩٥٣، ١٨٣ – ١٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن السليقة ليست بمعناها هذا الاجتزاء والاستطالة والاختزال بل يجب دراسة العامية لردها نحو الفصيح لا للبقاء على ما يثبت إليها من تطورات وتفسيرها ثم لا يُوضع حدٌ لهذا التطور عند اعتمادنا على "بقايا السليقة العربية".

وكذلك سار عبد الله كنون إلى توظيف بقايا السليقة العربية عند العرب والمحدثين "لرد الاعتبار إلى بعض الكلمات التي كانت من وضع العامة، ولا سيما ما وافق القياس منها فنفسح لها الطريق إلى معاجمنا" "ونضع حداً لهذه الجفوة الحاصلة بين العامية والفصيحة تحسيناً للظنّ بهذا الشعب العربي النبيل الذي ما زال يحتفظ بكثير من خصائص أجداده الكرام" ويقول: "وما لغته العامية إلا بنت للفصحى يجب تعهدها بالتهذيب والتنقيح لتقرب من مستوى الفصاحة وتلحق بنسب أمّها الرؤوم".

كما دعا إلى لفت النظر إلى "ضمير المخاطب (الجمع) في الخطاب تعظيماً للمخاطب وهو أدب جديد دخل في لغة الحوار ولم يكن العرب يستعملونه إلا قليلاً، حتى إنه لم يجئ في القرآن إلا مرّة واحدة في قوله تعالى: (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون).

فيقال: تجيئون عندنا ونزوركم ولا يكون في ذلك تعاظم من المتكلِّم بل تعظيم للمخاطب"[١].

ونظر محمود تيمور إلى "أن نتألف من الكلمات العامية ما يسوغ توجيهه أو تفصيحه" "ففي العامية ألوف الكلمات نجحدها حقها، ونتنكَّب عن استعمالها لمجرد أنها عامية، ولو أردنا أن نرد

---

(١) عبد الله كنون: السليقة عند العرب المحدثين، مصدر سابق ص١٠. وانظر في هذا الرأي في استخدام الضمائر: محمود أحمد الغمراوي في التقريب بين اللهجتين، مجلة الرسالة، ع ٨١٥، ١٩٤٩، ص ١٩٦. حيث دعا إلى استعمال حضروا الرجال بدلاً من الرجال حضروا إذ لا مانع عنده من ذلك ما دام هذا الاستعمال قد ورد في التنزيل: (وأسروا النجوى الذين ظلموا) و(ثم عمّوا وصمّوا كثير منهم) وقال: إنه لا يهمه الاختلاف في أوجه الإعراب ما دامت العبرة هي بالاستعمال وكذلك سار محمد خليفة التونسي (من شيوخ اللغة العربيّة): يقول: الرجلان حضرا ونقول: الرجلان حضروا انظر مجلة العربي ع ٢٠٠، ١٩٧٥، ص ٥٨ وكذلك في: أجبره على الأمر وجبره في مجلة العربي، ع ٢٣٠، ١٩٧٨، ص ١٦١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى الفصحى نسبها لبلغنا بها الغاية مثل: شاف بمعنى نظر، والطراوة بمعنى رخاوة النسيم، والنهمة بمعنى بقية القوة.." [١] "فالعامية إما صحيحة في اللغة كما يستعملها الناس ولكنها قابعة في المعجمات، وإما طرأ عليها ألوان من التحريف، والإبدال، يسيرة أو غير يسيرة... أو زيد عليها حرف، أو أدخلت فيها حروف، وإما كان وجه الخلاف بينها وبين الفصحى ضرباً من التخصيص أو التعميم أو شكلاً من الإطلاق أو التقييد، وشيئاً من النقل أو التَّوسع، وسائر علاقات المجاز إلى غير ذلك من تصرّف"[٢].

وفي رأيه أن بين لغتي الكتابة والكلام تعاون وثيق، وتبادل مستمر، فلغة الكلام تمد لغة الكتابة بألفاظ حيّة تجري في أساليبها دماً جديداً، ولغة الكتابة تدفع إلى لغة الكلام عبارات شريفة وكلمات منتقاة لإغنائها عند الاستعمال في محيط الحياة، وذلك بعد أن دعا إلى مجموعة من العوامل: منها: " تزويد اللغة بالألفاظ الحيّة المعاصرة مع المرونة في التعريف" وتبسيطها بتوخي المألوف والمأنوس دون المهجور المجفو من الكلام، وتيسير النحو وتعميم الضبط"[٣].

كما أنه عرض للمسميّات الأجنبية بمسميات عربية:-

بلكون: مقعد شرفة.

كوميديا: المسلاة.

تراجيديا: المأساة.

الماكياج: التخفي.

---

(١) محمود تيمور: رأي في الصراع بين العامية والفصحى، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج١١، ١٩٥٩، ص٧٠.

(٢) محمود تيمور: مشكلات اللغة العربية، مرجع سابق، ص٢٠٧-٢٠٨.

(٣) انظر محمود تيمور: قضية اللغة العربية، مجلة الهلال، ع١، ١٩٤٤، ص ١٩٠-١٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعرّض للعامي الفصيح مثل: الدوّار والمصطبة والقفّة والمعطف.

والعامي المنحرف: خبز مرحرح: خبز رحراح

المدود: المذود

والعامي وبديله الفصيح:

اللبن الخفضّ: الخثارة.

اللبن الزبادي: الروب أو الرائب.

كما تعرّض للأمكنة والملابس وأثاث البيت والتزين والطعام والشراب وأخرى غيرها"[١].

يتبدى للخاطر الأول أن الكاتب مضطرب في دعواه، فنراه تارة يدعو إلى تقريب العامي من الفصيح وطورا يقترح ألفاظاً عامية بدلا من الفصيحة، وذلك لسيرورة العامية بين الناس. وجرى عبدالله عبدالرحمن الأمين لإثبات أصول كلمات من اللهجة السودانية العاميّة فمنها ما كان حقيقي الرد وآخر يدور حوله أو في توسُّع[٢].

ولأجل هذه العاميات دعا ساطع الحصري إلى دراسة اللهجات المحلية المنتشرة في مختلف البلاد العربية، ما هي أنواعها؟ وما هي خصائص كل منها، من حيث الكلمات والألفاظ والتعابير؟ وما حدود انتشار كل واحدة" وتساءَل: "ألا يوجد بين اللغات الدارجة صفات واتجاهات عامّة وضرورات مشتركة؟" وفي الوقت الذي طرح فيه مثل هذه الأسئلة دعا إلى "السير على طريقة متوسطة وهي تطعيم اللغات الدارجة بالفصحى"[٣].

---

(١) انظر محمود تيمور: لغة المجتمع، مجلة اللغة العربية، القاهرة، ج٢، ١٩٥٧، ص٢٤-٣٠.

(٢) انظر عبدالرحمن الأمين: أصول كلمات من اللهجة السودانية العامية، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج٩، ١٩٥٧.

(٣) ساطع الحصري: قضية الفصحى والعامية، مجلة اللسان العربي، مج١٣، ص٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكنّ هذا الحل يبقي المشكلة كما هي، إن لم يتفاقم تأثيرها على مستقبل اللسان والفكر العربيين.

وسعى عبدالعزيز بنعبدالله خلال سلسلة من الأبحاث لمقارنة العاميات في العالم العربي تمهيداً للعمل على تقريبها من بعضها، وقد بدأه بالقاعدة التي وحدّها في أنّ "أغلب الأصول والقواعد الأساسية مشتركة بين الفصحى والعامية" و"تمس اللهجات الدارجة في معظم أجزاء الوطن العربي"[١] ثم أخذ مظاهر الوحدة والاختلاف في أصول الاشتقاقات اللغوية عند عامة المغرب والشام وألحقه بمعجم صغير للمصطلحات الموحدّة في العاميتين، وذلك حتى تتقارب الأصول المشتركة بين الأقطار العربية داعياً إلى الوحدة اللغوية المشتركة[٢]. لكنّه لم يكن شاملاً الأقطار العربية كما كان بداية لمشروع لغوي كبير لأجل توحيد الألفاظ (المشتركة) بين الأقطار العربية، فهي بحاجة إلى عمل معجمي لغوي بالتعاون مع المجامع العلمية جميعاً واللغويين لاستقصاء الألفاظ المشتركة بين الأقطار العربية جميعاً ونشرها من خلال توزيعها على الأقطار العربية عن طريق التقنيات المستخدمة في الوقت الحاضر ووسائل الإعلام فإن كانت مظاهر الوحدة اللغوية وأسبابها متمثلة قديماً في السوق الأدبية المشتركة واللقاءات الدينية فإنّها اليوم

---

(١) عبد العزيز بن عبد الله: العامية والفصحى في القاهرة والرباط، مجلة اللسان العربي، ع٢٢، ص٥٧-٥٨.

(٢) متسائلاً: " لماذا يذهب الكاتب بعد هذه الرؤية الجديدة للموضوع إلى مناقشة القضايا من خلال انعكاس عبدالعزيز بن عبد الله: نحو تفصيح العامية في العالم العربي، مجلة اللسان العربي، ج١، ١٩٦٤، يقول عمر الطاهر:" الواقع السياسي عليها تراه يضع عامية مغربية وأخرى سورية وثالثة لبنانية... والواقع ليس هناك شيء يمكن أن يسمى بذلك هناك لهجات مختلفة في أنحاء شتّى من الوطن العربي يزداد التشابه فيها ويقل تبعاً للموقع الجغرافي رغم الأصول المشتركة وهي لا تتبع في توزيعها بحال من الأحوال التقسيم السياسي أو الحالي منه على الأقل أما إذا كانت ضرورة تقسيم البحث هي التي ألجأت الباحث إلى هذا الأسلوب فهو أمر مقبول أما إذا كان الإقرار بالإقليمية وراء ذلك فإن المنطلق الجيد عنده يغدو منطوياً على ضده أنها دعوة جديدة في سبيل مراجعة تراثنا اللغوي" رأي... نحو تفصيح العامية في الوطن العربي، مجلة اللسان العربي، مج١٠، ج١، ص٢٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أكثر تواصلاً واتّصالاً وأقل انفراداً وتشعُّباً.

وأثبت عارف النكدي "أن العامة استعملت:

- ألفاظاَ صحيحة فصيحة وربما كانت قد اندثرت.
- استعاروا ألفاظاً عربية أصيلة لمعانٍ أصيلة.
- أحدثوا عن طريق الاشتقاق ألفاظاً يحتاجون إليها في حياتهم العملية.
- اختاروا السائغ المقبول من الألفاظ التي تعددت فيها اللغات، وإن خالفوا الخاصة في اختياراتهم.

وقد أثبت لكل منها بأمثلة.

وقد لخص فكرته أن "ليس كل ما تستعمله العامة خطأ وأنه إذا كان يراد للفصحى ألا تنزلق إلى مهاوي العاميّة فليس من الخير للعربية أن يكون بين اللغتين، وهما في الأصل لغة واحدة، حاجز حصين يحول دون الخاصَّة، واستعمال لفظ لا بدّ منه، لا لشيء إلاّ لأن العامة استعملته أو استحدثته"(١).

ولو ترك العنان للاستحداث ووهم الضرورة لِمَ لا يأتي دور المجامع في استطلاعات على كلّ جديد ونشر المقابل الفصيح المناسب المستسقى من الفصحى أولاً ثم النظر إلى ما استحدثته العامة.

كما أثبت كاصد الزيدي بعضاً من المفردات، والتعابير الفصيحة في كلام أهل العراق و"أن الفصاحة تتناسب عكسياً مع القرب من الحضارة وآية ذلك.. خروج النحويين اللغويين إلى

---

(١) عارف النكدي: العربية بين الفصحى والعامية، مجلة المجمع العلمي العربي، بدمشق، مج٤٤، ج١،٢ ١٩٦٩، وانظر ص ٤٩-٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البادية والتماسهم الفصيح الصحيح من أفواه البداة وسكان الفيافي"[١].

لكنه نسي ما آلت إليه المجتمعات المتحضرة من انتشار العلم والتعليم فليست كل حضارة هي هدم للفصاحة بل يجب أن تكون مجالاً لانتشار الفصاحة لتتناسب طردياً مع الحضارة باللغة الفصحى.

وكذلك أثبت محمد خليفة التونسي مفرداتٍ وتعابير وتراكيب موثقة بوجه من الوجوه في واستعمال لغوي قديم، مستشهداً بالقرآن الكريم، أو شعر، أو بمنهج نحو التفصيح للمفردات والتراكيب والضمائر المستعملة[٢].

كذلك اتجه حسين علي محفوظ في تتبع الألفاظ والتراكيب العامية وتفصيحها اتجاها يردها إلى أصلها في الشعر الجاهلي خاصة، والشعر العباسي أيضاً، مثل " وإذا قال العراقي اليوم (شوية) أي قليل فقد قال العامري من قبل:

معاهد لم يبق صرف الزما ن فيها ومني إلاّ شويّـا

وإذا قال: (بيّض الله وجهك) فقد قالت الريباس أم كلثوم للشريف أبي طالب الأنصاري "أصلحه بيّض الله وجهك"[٣].

وتوالت البحوث لإيجاد ألفاظ (عامية فصيحة) وهي لا تختلف عما أوردناه سابقاً في المنهج نفسه. فمضى محمد داود التنير إلى إيجاد حصيلة الألفاظ العامية الفصيحة التي تضم أكثر من ألف وأربعمائة كلمة وصيغة، وقد سمى كتابه (ألفاظ عامية فصيحة)، وقف عليها مصححاً

---

(١) كاصد الزيدي: بين العامي والفصيح، مجلة الجامعة جامعة الموصل، مج٣، ع٤، ١٩٧٢، ص٧٣.

(٢) انظر محمد خليفة التونسي: مجلة العربي، مج١٩٤، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٣، ١٩٥٧، وللاستزادة انظر ملحق المصادر والمراجع.

(٣) حسين علي محفوظ: تقريب العامية من الفصحى، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، مج٤١، ١٩٨٧، ١٣٩٨هـ، ص١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للألفاظ العامية إن كانت محرفة عن الفصحى كما أنه عُني بالضّبط[١]. نظير ذلك ما قام به هشام النّحاس في كتابه "معجم فصاح العاميّة" معتمداً على المعاجم القديمة والحديثة معطياً معناها العاميِّ والآخر الفصيح إما في تقارب أو تباعد في المعنى[٢].

إن التباين اللهجي بين الأقطار العربية ليس لنا إنكاره أو غضّ الطرف عنه فما يستخدمه بعضهم ربما كان في غير معناه المراد أي مخالفاً له لكنّ هذا الأمر لا ينبغي علينا أن نضعه حاجزاً يحدّ من التطلع نحو توحيد الألفاظ بين الأقطار العربية التي تشمل فيها مناحي الفكر، والثقافة، والتواصل، بغض النظر عن الألفاظ المتباينة غير الملحة، للحاجة اللغوية إليها في المجتمع العربي. فاللهجات يمكن تقريبها من بعضها ما دامت الوسائل الحديثة الأكثر انتشاراً وتواصلاً، الاتصالات المتوافرة تتضافر كلها في الجهود نحو العمل اللغوي الجاد الجامع في الأقطار العربية جميعها.

ودعا عبدالكريم مجاهد إلى الأنسب من لغات القبائل، وكان من الأفضل أن يدعو إلى المشترك بين الأقطار العربية والأنسب بشرط الفصاحة، كما دعا إلى دراسة اللهجات نفسها لمعرفة مدى قربها أو بعدها عن اللغة السليمة ووجوه الاختلاف بينها وبين العربية الأدبية الصحيحة كما أشار إلى أهمية المسلسلات الموحدة اللغة العربية السهلة وأشاد بدور المناهج والمدرسين جميعاً[٣].

مؤكداً أن "اللهجات العربية المعاصرة وليدة اللهجات القديمة وما الاختلاف بينها إلاّ نتيجة

---

(١) محمد داود التينر: ألفاظ عامية فصيحة، دار الشروق، ط١، ١٩٨٧.

(٢) هشام النحّاس: معجم فصاح العامية، مكتبة لبنان، ناشرون، ط١، ١٩٩٧.

(٣) عبدالكريم مجاهد: تقريب اللهجات المعاصرة، هل هو السبيل إلى تفصيح العامي، مجلة أبحاث جامعة اليرموك، ع٢٩، ١٩٩٠، ص٢٤-٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طبيعيّة لاختلاف لهجات القبائل العربية"[١].

يبدو أنه قد غضّ الطّرف عما مرّت به الدول العربية من استعمار خاص لكل دولة وانقسامات وتتريك في العصر العثماني، حتى غدت بعض مفردات المستعمر على ألسنة أبناء القطر العربي مختلفة باختلاف الاستعمار الذي خضعت له.

(١) عبدالكريم مجاهد: تقريب اللهجات المعاصرة، مرجع سابق، ص٢٤-٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الاستبيان	

أخي الكريم... أخت الكريمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

نضع بين أيديكم استبانة نحاول أن نجمع منها الكلمات والتعبيرات العامية التي تستخدمونها، ويتحدث فيها أفراد الجماعة الواحدة؛ حتى نتعرف على طبيعة اللهجة العامية في المملكة العربية السعودية، وهي لغايات أكاديمية بحتة، لذا نرجو منكم التعاون والمساعدة.

ونقصد بالكلمة العامية تلك التي تستخدمونها بطريقتكم الخاصة في لقاءاتكم وجلساتكم العادية التي تعبرون بها عن المعاني دون تكلُّف.

نأمل بعد أن اتضح الهدف أن تسجلوا كل ما تعرفون في الأماكن المخصصة في هذه الاستبانة، وسوف تفرد صفحة لكل موضوع حتى نتعرف إلى الواقع الحي للهجة السعودية، نقرّب هذه اللهجة من اللغة العربية الفصيحة.

وجزاكم الله خيراً

الباحث: عبد الرحمن بن عوض الحربي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعلومات الشخصية

العمر:

الجنس: ١- ذكر ٢- أنثى

الحالة الاجتماعية: ١- متزوج ٢- عزب ٣- أخرى

مكان السكن:

المستوى التعليمي: ١- أُمي ٢- ابتدائي ٣- إعدادي/أساسي
٤-ثانوي ٥- دبلوم متوسط ٦- بكالوريوس
٧- ماجستير ٨- دكتوراه

التخصص:

مكان الدراسة:

قطاع العمل: ١- عام ٢- خاص ٣- أخرى

المهنة الرئيسية:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموقف "التحية"	التعبير كما تنطقه
الصباحية: للوالدين للأقارب	
الصباحية: للأصدقاء	
لمن لا تعرفه	
المسائية: للوالدين للأقارب	
المسائية: للأصدقاء	
لمن لا تعرفه	
الموقف "الاعتذار"	التعبير كما تنطقه
للوالدين للأقارب	
للأصدقاء	
لمن لا تعرفه	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموقف "التهنئة"	التعبير كما تنطقه
في الخطوبة والزواج للأقارب	
للأصدقاء	
في النجاح	
في المولود الجديد	
في بناء البيت	
في العودة من العمرة والحج	
في العودة من سفر	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموقف " التعزية"	التعبير كما تنطقه
للأقارب	
للأصدقاء	
الموقف "الغضب"	التعبير كما تنطقه
الكلمات التي تتلفظ بها عند الغضب	
الموقف "الاعجاب"	التعبير كما تنطقه
الكلمات التي تتلفظ بها عندما تبدي إعجابك بشيء	
الموقف "المفاجأة"	التعبير كما تنطقه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموقف "النداء"	التعبير كما تنطقه
نداء الوالدين	
نداء الأقارب من الذكور والإناث	
نداء الأبناء	
نداء الأصدقاء	
نداء من لا تعرف	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit